أدب

ديوان الشاعر المَهْجري

مُوسَى الحدَّاد

جَمعه وضَبطه واعتنى به

د. حسَّان أحمد قمحيَّة

قدَّم له:

مطران حمص وتوابعها للروم الأرثوذكس

جاورجيوس أبو زخم



الطبعة الثانية


ديوان الشاعر الـمَهْجري مُوسَى الحدَّاد



دار الحوار للنَّشْر والتّوزيع

سوريَّة، اللاذقيَّة

صندوق بريد: ١٠١٨

هاتف: ٩٦٣٤١٢٤٢٢٣٣٩

فاكس: ٩٦٣٤١٢٤٢٢٣٣٩

Dar Al Hiwar

Syria, Lattakia

P.O.Box: 1018

Tel: +963 41 2422339

Fax: +963 41 2422339

daralhiwar@gmail.com

ديوان الشاعر الـمَهْجري

موسى الحدَّاد

مع دراسة أدبيَّة موجزة

جمعه وقدَّم له واعتنى به

د. حسَّان أحمد قمحيَّة

قدَّم له:

سيادة مطران حمص وتوابعها للروم الأرثوذكس

جاورجيوس أبو زخم





الطبعة الثانية – ٢٠٢٢ م

مدقّقة ومنقّحة

الفهرس

قافِيَةُ السِّين

قافِيَةُ العَيْن

قافِيَةُ اللاَّم

قافِيَةُ الميم

قافِيَةُ النُّون

كلمةٌ مهمّة

عندما يُكلّف الإنسانُ بالكتابة عن الهجرة والـمهاجرين يَتَبادر إلى ذهنِه تلك الظروفُ التي اضطرتهم إلى ذلك، ويغوص حينَها فـي البَحْث والتدقيق والتفتيش ليكتشفَ الكمَّ الهائل من الصعوبات والـمُلابَسات التي رافقت تلك الهجرةَ، وما خلّفته من آثار على الصعيدين الوطني والاغترابـي أيضًا. لكنّ هذا البحثَ يطول، ولا يعود بالفائدة الـمرجوّة، لأنّ الـمطلوبَ إلقاءُ الضوء على شخصية مثل الشاعر الذي كان لـي شرفُ تقديم ديوانه، وهو الشاعر الـمَهْجري موسى عَبْدو الحدّاد ابن مدينة حمص التي وُلدَ وترعرعَ فيها، وتعلّم فـي الـمدارس الغسّانية الأرثوذكسية.

ما يلفت النظرَ فـي سيرة حياته تربيتُه الـمتأرجِحة التي جعلت منه إنسانًا واعيًا حسّاسًا، مثّقفًا وشاعرًا مرهفَ الحس، جيّاشَ العاطفة، وطنيًا عاطفيًا، وصاحبَ مبادئ نبيلة يتحسّس آلامَ الآخرين، وخاصّة الفقراء منهم والأيتام أيضًا.

ويبدو أنّ خبرتَه الأولى فـي نظم الشعر كانت فـي سنٍّ مبكّرة، ممّا يعني أنّ تلك القريحةَ كانت متأصّلةً فيه، حيث نظم الشعرَ العامّي فـي سنٍّ مبكّرة، ثمّ وفـي سن الخامسة عشرة بدأ ينظم الشعرَ الفصيح، فأجادَ وأبدع وبرع بعدَ أن كان قد كوّن له مخزونًا ثقافيًا ومعرفيًا من نتاج أشهر الشعراء والأدباء فـي الأدب القديم والحديث، خاصّة وأنّه كان يعيش فـي ظروف عائلية متقلّبة بغياب الأب الذي لم يتعرّف عليه إلّا بعدَ أن أصبح بعمر العشرين عامًا



عندما هاجرَ إلى البرازيل، سان باولو، حيث التقاه هناكَ وعرفه وقد أصبح شاعرًا ملهمًا.

يزخر ديوانُ هذا الشاعر بمواضيعَ إنسانيّة تتناول شؤونَ وشجون الناس الوطنية والاجتماعية والحياتية، وحتّى أدقّ الأمور الـمعيشية، فتجد نفسَك وأنت تتمعّن فـي شعره أنّه يلامس فيك ما أنتَ فيه فـي حياتك اليومية.

وإنَ أصدقَ ما يُقال فيه أنّ شعرَه نابعٌ من وجدانٍ وضمير حيّ وعاطفة جيّاشة نبيلة، وهذا ما يجعله قريبًا منك، يخاطبك ويرفعُ من عزيمتك ويلهب فيك الـمشاعرَ النبيلة الصادقة وطنيًا واجتماعيًا وإنسانيًا، وذلك بدون تكلّف أو مُغالاة، فـي أبياتٍ تنساب إليك ألحانًا على معظم الأوزانِ الشعرية الـمُقفّاة.

وإنَّ أكثرَ ما يشدّك فـي شعره هو فخرُه واعتزازه بنفسِه، وليس من باب التكلّف أو التصنّع، ولكن ممّا اكتسبه مـن حكمةِ الحياة وعُمقِ البَصيرة، وهـذا مـا يزيده ثقةً بأن يبقى الإنسـانُ محافظًا علـى ثقته بنفسه، ومعتمدًا علـى ذاته، ليكونَ موضوعَ احترامٍ وذا كرامةٍ فـي حياته.

لن أتوسّعَ أكثرَ فـي التعليق، لأنّ هذا الأمرَ هو مـن شأن الباحثين والنقّاد، ولكنّني أكتفي بالقول إنّ شاعرَنا موسى عبدو الحدّاد، وهو ابن مدينتنا البارّ حمص العديّة، حملنا وحملَ مدينته، وخاض غمارَ البحار واستقرّ في سان باولو، ولـم يتنكّر لبلده ولا لـمدينته وأهلها، ولا لوطنه ولعروبته، وحملَ القضيةَ الفلسطينية، ودافع عنها بكلّ جوارحه وبوجدانه الحي.



والسؤالُ الآن أينَ أصبحت هذه القضيّة؟؟

إِنّني أتوجّه بالشكر الجزيل والامتنان القلبيّ من الصديق العزيز والأخ الدكتور حسّان أحمد قمحية على منحي شرفَ تقديم الشاعر موسى عبدو الحدّاد، وعلى عمله الدؤوب والـمميّز فـي جمع ديوانه وإخراجه إلى النور بعدَ أن كان مغمورًا.

مطران حمص وتوابعها للروم الأرثوذكس

جاورجيوس أبو زخم



مقدِّمة

دَفعَتْ بعضُ الظروف العَصيبة التي حاقَتْ ببلاد الشام عددًا كبيرًا من أهلها إلى الهجرة إلى الأمريكيّتَيْن بعدَ منتصف القرن التاسع عشر، لاسيَّما من الـمَسِيحيّين؛ ويُقال إنَّ "أوَّل عائلة سوريَّة دخلت أرض كُولـمبُس هي عائلة يوسف عَرْبيلي الدمشقيَّة، حيث كان وصولُها إلى الولايات الـمتّحدة الأمريكيّة سنةَ ١٨٧٨ م"[١]. ولكن، يشير الدكتور حَسَن جاد حَسَن إلى أنَّ أوَّلَ مهاجر عربـي وطِئ أرضَ الولايات الـمتّحدة هو "اللبنانـي أَنْطون البَشْعلانـي سنةَ ١٨٥٤ م، حيث أقامَ فـي نيُويورك ومات فيها"[٢]، ثم تتالى الـمُهاجِرون وتكاثروا، من سوريّة ولبنان (الذي كان جزءًا من سوريَّة حينئذٍ) وفلسطين، مع أنَّ أكثرهم كانوا من لبنان؛ "وبلغت موجاتُ الهجرة قِمَّتَها سنةَ ١٩١٣ م"[٣].

هذا فـي أمريكا الشماليَّة، أمّا فـي أمريكا الجنوبيّة، فيشير الأديبُ الـمَهْجري إلياس قُنْصل إلى أنَّ "رجلًا من «آل حدَّاد» هو أوَّل مهاجر سوري وطأت قدماه أرضَ الأرجنتين قبلَ نحو سبعين عامًا من صدور كتابِه «أدب الـمُغْتَرِبين»، أي سنةَ ١٨٩٣ م تقريبًا، وقد كان يُقِيم فـي ضواحي العاصمة بُوينس آيرِس، لكنَّ كلّ الـمهاجرين الذين قابلهم إلياس قُنْصل

---

[١] انظر: السُّوريُّون فـي الولايات الـمتّحدة الأمريكيَّة، فيليب حتّي، مطبعة الـمُقْتَطف، القاهرة، ١٩٢٢ م، ص٩.

[٢] انظر: الأدب العربـي فـي الـمَهْجر، د. حَسَن جاد حَسَن، دار قَطَريّ بن الفُجاءة للنشر والتَّوْزيع، الدَّوْحة، قطر، ١٩٨٥م، ص٣٧.

[٣] الأدب العربـي فـي الـمَهْجر، د. حَسَن جاد حَسَن، ص٣٧.



كانوا يقولون إنَّهم حين دخلوا أمريكا وجدوا فيها فريقًا من «أولاد العَرب»[١]. ومن هنا نتّفق مع ما جاء فـي كتاب «الأدب العربـي فـي الـمَهْجر»، حيث ذكر مؤلِّفُه أنَّ الهجرةَ إلى "الجنوب الأمريكي ترجع إلى سنة ١٨٧٤ م، حيث كان أقدمُ الـمهاجرين شقيقَتَيْن لبنانيّتين من عائلة زخريا ... ووصل أوّلُ مهاجر فلسطيني إلى تشيلي سنةَ ١٨٨٠ م، وهو إِلْياس جِبْرائيل دعيق ... بينما وصل أوّلُ مهاجر لبنانـي إلى الأرجنتين سنةَ ١٨٨٤ م، وهو ميخائيل ملحم السَّعْفانـي"[٢]. وأمّا فـي البرازيل، "فإنَّ أوَّل مهاجر عربـي كان لبنانيًا اسمه يوسف موسى مزيارا، حيث وصلَها سنة ١٨٨٠ م"[٣]. ولكن، يذكر الدكتُور صابر عبد الدَّايم أنَّ الهجرةَ كانت "إلى الشِّمال الأَمريكي فـي البداية؛ ولكن، لم يتَّجه الـمُهاجرون إلى جَنوبها إلاَّ بعدَ وصولهم إلى الشِّمال بنحو عشرين عامًا"[٤]؛ غيرَ أنّه ممّا لاشكَّ فيه أنَّ الـمُغتربين أنفسَهم أقربُ إلى الدقَّة من الدارسين للأدب الـمهجري.

لقد دأبَ أولئك الـمُهاجِرون على السعي إلى تحصيل الرزق وأسباب الـعَيْش، ولاقوا فـي سبيل ذلك صعوباتٍ جمَّة؛ فهم أغرابٌ عن عادات تلك البلاد ولغتها ومسالِكها ومداخلها ومخارجها، وكلّ شيءٍ فيها. وقد تعرَّضوا وهم يخوضون غِمارَ حياتهم الجديدة إلى

---

١ انظر: أدب الـمُغْتَرِبين، إلياس قُنْصل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٣ م، ص٩، ١٠.

٢ الأدب العربـي فـي الـمَهْجر، د. حسن جاد حسن، ص٣٧.

٣ انظر: أدب الـمُغْتَرِبين، إلياس قُنْصل، ص١١.

٤ أَدَبُ الـمَهْجر، الدكتور صابر عبد الدَّايِم، دار الـمعارف، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٩٩٣ م، ص١٤.



الكثير من الـمَواقِف الصعبة والظروف الـمُؤْلِـمة، ومنهم من أخفقَ فـي مَسْعاه وخاب ظنُّه فـي ما عزمَ عليه، ومنهم من نجح نجاحًا باهرًا فأَثْرى واغتنى. ويرى الأديبُ الـمهجري جورج صيدح أنَّ "هجرةَ أبناء العرب إلى العالم الجديد كانت ضرورةً لا مهربَ منها فـي ظروفٍ خاصَّة، ثمَّ أصبحت مغامرةً لا مبرِّرَ لها عندما تغيَّرت الظروف؛ فقد كانت وسيلةً للنجاة من ضائقة فأصبحت غايةً بعدَ انفراجها؛ كانت انتقالًا مؤقَّتًا فأصبحت استقرارًا دائمًا، كانت لِعلَّةٍ عارضة فأصبحت داءً مزمنًا يتعذَّر شفاؤه"[1].

لـم يَقْتصرْ اهتمامُ الـمهاجرين إلى الديار الأمريكيّة على الـمَجالات الـمهنيّة والتجاريَّة والصناعية، بل تَداعُوا بعدَ استِتْباب أمورهم وزيادة معرفتهم بالبلاد الجديدة إلى الـمُحافظة على الأدب العربـي فـي ذلك الـمَهْجَر، وأسَّسوا بعدَ مدَّة من توافُدهم واستقرار أحوالهم عددًا من الـمُنْتَديات والـمُلْتَقيات والنّوادي الأدبية، ثم بادروا إلى إصدار جرائد ومجلّات تُعْنى بالشؤون العامَّة والخاصَّة وبالأدب والشعر، وقضايا بلادهم وأوطانِهم"[2]. ويعدّ "ميخائيل رستم أقدمَ أديب مهجري، وهو والدُ الشاعر الـمهجري أسعد رُسْتُم؛ ثمّ يأتـي بعدَه الدكتور لويس صابونجي، وهو أوَّلُ شاعر نظمَ قصيدة عربيَّة فـي الـمهجر على النهج القديم"[3].

---

[1] أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدَح، الطَّبعة الرابعَة، مكتبة السَّائِح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩ م، ص١٣.

[2] انظر: حسني غُراب – حياتُه وشِعْرُه، د. حسَّان أحمد قمحيَّة، الطبعة الثانية، دار الإرشاد، حمص، سوريَّة، ٢٠٢٠ م، ص٢٢، ٢٣.

[3] انظر: الأدب العربـي فـي الـمَهْجر، د. حسن جاد حسن، ص٣٧.



تَتبَّع بعضُ الباحثين والـمهتمِّين بذلك الأدب، الذي سُمِّي الأدبَ الـمهجري أو أدب الـمهجر لاحقًا، فدرسوه وحلَّلوه وأَخْضَعوه لـموازين النَّقد بحسب وجهات نظرهم، ما بين مادحٍ وقادِح، ومُعْجبٍ ومُسْتاء. لكنَّ الكثيرَ من الدارسين أقرَّوا بأنَّه أدبٌ جديد جميل، مُغايِر لـما سبقه، فرضت خصائصَه ديارُ الهجرة وآفاقُها الجديدة وظروفُ الاغتراب. وأصبح ذلك الأدبُ الذي سمّاه بعضُهم الأدبَ أو الشعر الـمَهْموس (مثل الدكتور محمّد مَنْدور) محطَّةً مهمّة من محطّات تاريخ الأدب العربـي. ولكنَّ الكثيرَ من أدباء الـمهجر لم يلقوا من الاهتمام ما لقِيَه نظراؤهم، بل إنّ عددًا كبيرًا منهم بقيَ نتاجُه الأدبـي، شعرًا ونثرًا، حبيسَ الـمجلّات والصحف الـمهجريّة التي ربَتْ على ١٨٠ صحيفة ومجلَّة، وربَّما ضاع الكثيرُ منها فـي أدراج الـمكتبات العامَّة وأرشيف الجامعات والـمراكز الثقافية والـمكتبات الخاصّة. وكان لابدَّ من أن يبادرَ الـمهتمّون بذلك الأدب إلى نَفْض غُبار السنين عن ذلك النتائج الأدبـي الضخم، كي يرى النورَ من جديد.

لقد لفتني هذا الأدبُ الجميل، مثلما لفت كثيرًا غيري، فأخذتُ أبحث عن مصادره ومراجعه، فأحييتُ منه ما أَحْييت من دواوين لم تَعُدْ متداولةً بين أيدي الناس[١]، وجمعتُ من شعر أدبائه الذين لم تصدر لهم دواوين من قبلُ ما استطعتُ بفضل الله تعالى وتوفيقه.

[١] لكن لم أُصْدر تلك الدواوينَ من جديد كما كانت، بل قدَّمتُ لها بسيرةٍ ذاتية وافية عن حياة الشاعر وخصائص شعره وأغراضه ومَوْضوعاته، فضلًا عن ضَبْط الكلمات بالشَّكْل وشرح بعض الـمفردات العَصِيّة وفهرسة القصائد بحسب القوافـي والبُحُور، كما لم أُغْفِل مقارنةَ القصائد الـمنشورة (بشكل متباعِد زمنيًا) فـي أكثر من مجلّة أو كتاب بعضَها =



وكنتُ خلال عملي فـي الأدب الـمهجري أعثرُ بين الفينة والأخرى على شاعرٍ جديد، فأبحث عن ديوانٍ له فلا أجد، فأتلقَّف أيَّ خبر عنه فـي كلِّ كتاب أو مصدر أو مجلّة، أو حتّى فـي أيِّ موقع إلكترونـي أرى فيه اسمَه، متصيِّدًا أخبارَه ومدوِّنًا ما أجده من شعره مهما كان قليلًا؛ فإذا اجتمع لـي من شعره ما يصلح لأن يكونَ كُتيِّبًا أخذتُ أفكِّر فـي إخراجه كجزءٍ من شعره، على شاكلة ديوان صغير، وأقول فـي نفسي: لا بأسَ بوضع حجر الأساس لذلك الديوان، عسى أن أجدَ الـمزيدَ من نِتاج ذلك الشاعر لأضيفَه فـي طبعاتٍ لاحقة، أو علَّ غيري يُكمل ما بدأتُ به، فليس الـمهمّ بلوغ الـمرام فـي كلِّ شيء، بل الـمهمّ أن نخطو خطواتٍ على طريقه، ثمّ ننتظر خطواتٍ نَخْطوها لاحقًا إن استطعنا، أو يبادر إليها آخرون فيستدركون على ما بدأنا به.

وممّا لفت انتباهي فيما وصلتُ إليه أنّني لم أجد أحدًا من غير الـمَهْجريّين جمعَ شعرَ أدباء الـمهجر الذين لم تصدر لهم دواوين فـي حياتهم؛ فعلى سبيل الـمثال، جمعَ ديوانَ حسني غُراب أوَّلَ مرَّة الشاعرُ الـمهجري نبيه سلامة، وديوانَ نصر سمعان الأديبُ الـمهجري رشيد شكُّور، ولا أعلم حتّى لحظة كتابة هذه السطور أحدًا آخر جمع ديوانًا لشاعرٍ مهجري غيرهما، اللهمَّ إلّا ما كان قد وعدَ به الأديبُ الـمصري جورج ديمتري سليم (الأستاذ

= ببعض، مع ذِكْر مناسبات تلك القصائد إنْ وجدتُ إلى ذلك سبيلًا. ومن الجدير بالذكر أنَّ جميعَ مـن أعدتُ طباعةَ دواوينهم بالصورة الـمذكورة آنفًا أضفتُ إليها الكثيرَ من القصائد التي لم تكن مَوْجودةً من قبل فـي الدواوين القديمة، وقد أشرتُ إلى كلِّ ذلك فـي مَتْن العمل.



الجامعي فـي الولايات الـمتّحدة الأمريكية) من بَدْئه بجمع ديوان الشاعر الـمهجري جميل بطرس حلوة سنةَ ١٩٧٨ م، ولكن رغم البَحْث الحثيث عنه لم أرَ له وجودًا، فجمعتُه بنفسي سنةَ ٢٠٢١ م، مستفيدًا من بضع مقالات عنه للدكتور جورج ديمتري سليم ومن عشرات الأعداد من مجلَّتي السائِح والسَّمير الـمَهْجريّتين ومن مصادر أخرى.

ومن أولئك الشعراء الذي لفتَ انتباهي شعرُهم، ولكنّه لم يُجمَع بين دفّتي كتاب، الشاعرُ الـمَهْجري موسى عبده الحدّاد. ولذلك، تتبَّعتُ ما نشرَت له الـمجلّاتُ والـمراجع والـمصادر، وجعلتُها فـي ديوان، بعدَ أن فَهرستُها بحسب القوافـي والبحور. ولقد امتدَّ بحثي عن قصائد الشاعر وما يتعلّق بحياته وسيرته إلى سنوات، لم أترك شخصًا أعرف أنّ لديه ما يمكن أن يفيدَنـي فـي مشروعي إلّا راسلتُه، ولا مكتبةً عامّة أستطيع الوصول إليها إلّا زرتُها، ولا مرجعًا أو مصدرًا كان له نصيب فـي أدب الـمهجر إلا بحثتُ عنه. وفـي كلِّ مرّة أفكِّر فيها بجمع الديوان ونشره أتلكّأ أو أتريّث متأمّلًا أن أجدَ الـمزيد إلى أن أصبحَ لديَّ ما يمكن أن أصدره فـي طبعة أولى، عسى أن تكونَ له طبعاتٌ أخرى إذا عثرتُ على قصائد جديدة للشاعر أو على ما فاتني من قصائده الـمنشورة فـي هذه الطبعة، فبعضُ القصائد لم أجد إلّا جزءًا منها مثلما هو مشار إليه فـي الحواشي.

لقد ضبطتُ كلماتِ تلك القصائد، وذكرتُ مناسباتِها، وشرحتُ بعضَ مفرداتها. وبعدَ اكتمال الجمع، رتّبتُ تلك القصائدَ بحسب القوافي، كما وضعتُ فهرسًا لها بحسب البحور. ومن الجدير بالذكر أنّ بعضَ القصائد فـي الـمَصْدر كانت بلا عناوين، فوضعتُ لها عنوانًا من سياقِها.



عندما أخذتُ فـي تَرْتيبِ قَوافـي قصائدِ الشاعر ألفبائيًّا، اعتمدتُ فـي ذلك على أَكْثرِ الأَقْوالِ تَداوُلًا، حيث أخذتُ بعينِ الاعتبار الترتيبَ بحسب الرَّوِيِّ الـمُتَّفق عليه فـي القَوافـي، ولكنَّني هذه الـمرَّة لم ألجأ إلـى إهمالِ ألفِ الإِطْلاق وهاء الوَصْل والياء الـمُجرَّدة ... وما إلى ذلك، مثلما كنتُ أفعل فـي جمع الدَّواوين السابقة، بل جعلتُ ما يأتـي بعدَ حرف الرويّ الأساسي أساسًا فـي التَّبْويب. ولذلك، عِنْدما يتَّفق الرويُّ بين القصائد، يكون تَرتيبُ حروف الرويّ بَدْءًا مِنَ السَّاكن فالمَفْتوح فالمَضْموم فالمَكْسُور. وعندَ اتِّفاق القصائد فـي حرف الرويِّ وحركته، اعتمدتُ على الحرف اللاحق ثمّ السَّابق للرويِّ أو الرِّدْف؛ فإذا كان حرفًا ليِّنًا أخذتُ به أيضًا، وكذلك على حرف التَّأْسيس. وعندما يتَّفق شأنُ الرويِّ فـي كلِّ ذلك في أكثر من قصيدة، ألجأُ إلى الترتيب بحسَب البحور، حيث كان الترتيبُ كما يلـي: الطويل، فالمديد، فالبسيط، فالكامل، فالوافر، فالهَزَج، فالرَّجَز، فالرَّمَل، فالسَّريع، فالـمُنْسَرِح، فالخفيف، فالمُضارَع، فالمُقْتَضب، فالمُجْتَثّ، فالمُتَقارب، فالمُتَدارَك (بصرف النظر أكانَ البحرُ تامًا أَمْ مَجْزوءًا أم مَشْطورًا ... إلخ)، مع الإشارة إلى أنَّ هذه البُحورَ لم يكتب عليها الشاعرُ جميعًا. وحينما يتَّفق الرويُّ والبحر أَضعُ القصائدَ الأطول فالأَقْصر. ولكن، واجهتني مشكلةٌ بعض القصائد التي فيها تَعدُّدٌ للقوافي؛ وهنا أخذتُ بقافية الأبيات الأولى، بصرف النظر عن قوافي بقيَّة القصيدة. كما ذكرتُ أَوْزانَ بحور القصائد جميعها بجانب عنوان كلِّ قصيدة.

وقبلَ أن أدخلَ فـي عرض قصائد الديوان وتَبْويبها بحسب القوافـي وضبطها، أجريتُ دراسةً مصغَّرة شملت حياةَ الشاعر وأغراضَه وموضوعاتِه وخصائصَ شعره وبعضَ



الظواهر التي اكتنفتها. ولم أغفل عن الإشارة إلى بعض الـملاحظات والتَّعْقيبات بحسب ما يَقْتضيه الـمقام. ويطيب لي هنا أن أشكرَ شكرًا جزيلًا القائمين على جريدة حمص، وأخصُّ بالذِّكْر سيادةَ مطران حمص وتوابعها للرُّوم الأرثوذكس جاورجيُوس أبو زخم والأستاذ الـمُحامي مرهف شَهْلة مدير التَّحْرير، على تَذْليل كلِّ الصِّعاب للوصول إلى الأرشيف الذي لا يزال مَحْفوظًا لدى مطرانيّة حمص للروم الأرثوذكس. كما أُثْني كثيرَ الثناء على ابن شقيقتي الشاب الجامعيّ الخَلُوق خالد السِّباعي الذي استقصى كاملَ أرشيف الجريدة، واستخرجَ منها ما وجده من قصائدَ للشاعر موسى الحدّاد ووثَّقها بحسب ما وَجّهتُه به. وأُفْردُ شكرًا مَخْصوصًا للدكتورة آلاء ياسين دياب التي لم تدّخر جهدًا إلّا وبذلته فـي سبيل حصولي على بعض الوثائق التي خدمَتْ العمل، وأسهمت فـي رَفْدِه بما يستحقّ ويفيد، فلها منّي فائق التحيَّة والتقدير.

وأخيرًا، أرجو أن يجدَ هذا العملَ موقعَه الـملائم فـي الـمكتبة الأدبية الـمهجرية، وأن يكونَ لبنةً جديدة تُضاف إلى أخواتِها لتشكّل مادّةً أخرى تدفع إلى مزيدٍ من التعمّق فـي دراسة هذه الـمحطّة الـمهمّة من محطّات أدبنا العربـي.

والله وليُّ التوفيق.

د. حسّان أحمد قمحيّة

الرياض، ٢١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٢١ م

موسى الحدّاد - حياته وشعره

وُلِد موسى عبده الحدّاد بحمص سنةَ ١٩٠٠ م، من أسرةٍ مسيحيّة أرثوذكسيّة، "وقد أزمعَ والدُه لشدَّة يأسه وفقره وقنوطه من الحياة أن يقذفَ به بعدَ ولادته فـي نهر العاصي، إلّا أنّ العنايةَ الإلهية شاءت أن يتدخّلَ أحدُ أبناء الـمدينة فـي اللحظة الأخيرة، فأنقذه وأخذ الطفلَ من والده وربّاه مدّة، قبلَ أن تستردّه طائفتُه بعدَ أشهر"[١]. ويمكن الاطلاعُ على هذه القصَّة مفصَّلةً فـي جريدة حمص ولكن بروايةٍ مختلفة[٢]؛ فهناك تفاصيلُ كثيرة عن الواقعة، حيث كان والدُ موسى الحدّاد الحقيقي، أو البَيُولوجي كما يقول أهلُ الطبّ، رجلًا قرويًّا من وادي النصارى يأتـي الـمدينَة ليَبيع بعضَ محاصيله ويشتري حوائجَه؛ وفـي إحدى الـمرّات دخل الـمدينةَ لكن من دون أن يكونَ معه شيءٌ ليَبيعَه، ورآه أحدُ البَساتِنة فدارَ بينهما الحديثُ الآتـي:

"- ماذا تحمل للبيع؟

- اليومَ لـم أجلب شَيْئًا.

---

[١] انظر: أَعْلامُ الأَدَب والفنّ، أَدْهم آل جنْدِي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م، ص١١٤. ويُشار إلى أنَّني انتزعتُ الـمعلومات الخاصَّة بحياة الشاعر وسيرته الذاتيّة من عدَّة مصادر، على رأسِها الـمصدر الـمشار إليه هنا فـي هذه الحاشية وجريدة حمص (مقالة عنه للأديب الـمَهْجري نيبه سلامة، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٦ و ٧).

[٢] انظر: جريدة حِمْص، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٦ و ٧.

- وما هذا الذي فـي الخُرْج؟

- هذا طفلٌ صغير.

- أنا أَشْتريه، فكم ثمنُه؟

وتمّت الصَّفْقة، وأخذ البستانـي الطفل، ودخل القرويّ الـمدينة من دون صَغيرِه"[١].

وهنا نتوقَّف لنتساءَل: ما الذي دعا الرجلَ القرويّ ليأتـي بصغيرِه إلى الـمدينة؟ وهل كان يعتزم حقًّا إلقاءَه فـي نهر العاصي كما ذكر أدهم آل جندي فـي كتابه «أَعْلام الأَدَب والفنّ»، أم كان له هدفٌ آخر؟

بعدَ أن علمَ مطران حمص وتوابعها للروم الأرثوذكس بهذه الحادِثة، وهو الـمطران أَثْناسيُوس عطـا الله فـي ذلك الحين، جمعَ وجهاء الطائفة وأخبرهم بالقصَّة عازِمًا علـى اسـتعادة الطفل، وقد استغرقَ الأمرُ الكثيرَ من العمل والوقت ليكونَ ذلك، فلم يدع وسـيلةً إلا اتّخذها لتحقيق مراده، وقد تمكَّن بعدَ جهدٍ جهيد مستعينًا بأرباب الحلِّ والعَقْد مـن إعادة الطفل. ولكن، لِـمَنْ يُوكـل أمرُ هذا الطفل الصغير لتربيته وتَنْشـئته؟ "تقدَّم السـيّد عبده الحدّاد، وهو مـن وجهاء الطائفة ومعروفٌ بسـموّ أخلاقه ونُبْل أَرومَته، وزوجته السيِّدة الفاضلة هنود غنّوط"[٢]، ولـم يكن لديهما أَوْلاد، فطلبا أن ينشـأَ الطفلُ فـي

[١] انظر: جريدة حِمْص، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٦.

[٢] انظر: جريدة حِمْص، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٦.



كنفهما، وقـد تعهَّدا بتربيته وتهذيبه وإعطائه اسـمهما كولدٍ شـرعيّ، وقد اختار الـمطران أن يُسمَّى موسى، وهكذا كان.

كبر الطفلُ وأصبح شاعرًا فَحْلًا، ذا مكانةٍ اجتماعية بارزة، ولكن لم يلتقِ بوالِده الذي هاجر إِثْرَ تلك الحادثة إلّا فـي مدينة سان باولو بعدَ فراق طويل دام نحو ٢٠ سنة، وكان ذلك فـي مَتْجر يعمل فيه موسى الحدّاد عندَ ابن عم والده بالتبنّي أسعد عبد الله حدّاد، لكنَّ موسى لم يستطع تقبُّلَ والده الأصلي بعدما علمَ بما فعلَه به وهو طفل، وقال له: "أنا لا أعرف هذا الرجل، أنا اسمي موسَى حدّاد، وأبـي اسمُه عبده حدّاد، وأمّي اسمُها هنود غنوط، وكلاهما يُقيمان فـي حمص ... ثمَّ أردفَ قائلًا: أيجوز لـمن تركَ ابنه طفلًا، وأعرضَ عنه، وخلَّفه بأيدٍ غريبة، غيرَ آبهٍ بتربيته ولا بإعالته، أن يجيءَ إليه وهو كامل الرُّجولة، ويقول له: أنت ابني؟ لا وألف لا"[١]، ثمَّ انصرف. ويُشار هنا إلى أنّ والدَ موسى الحقيقي كان من عملاء متجر أسعد حدّاد، وكانت تجمعه علاقةٌ طيِّبة مع ابنه العامل فـي الـمتجر قبلَ أن يتعرَّفا إلى بعضهما بعضًا. ولكن لم تذكر الـمصادرُ اسمَه الحقيقي.

تلقّى موسى الحدّاد دروسَه الابتدائية فـي الـمدارس الأرثوذكسيّة، وكان مثالَ التلميذ النابِه والرفيق الـمَحْبوب، محمودًا بين أقرانه، مقرّبًا من معلِّميه، ناجحًا فـي دروسه؛ ثمّ انتقل منها سنةَ ١٩١٥م إلى الكلّية الإنجيلية، لكنّ نشوبَ الحرب العالـميّة الأولى حال دون

---

[١] انظر: جريدة حِمْص، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٧.



متابعة دراسته، "فلزم البيتَ وعكفَ على الـمطالعة والقراءة حتّى تجمَّعَ لديه مخزونٌ معرفـيّ مـن نتاج أشهر الشعراء والأدباء فـي الأدب القديم والحديث"[1].

نظم الشاعرُ الشعرَ العامي فـي سنٍّ مبكّرة، فـي الحادية عشرة، لكنّه تركه وتحوّل عنه إلى نظم الشعر الفصيح فـي الرابعة عشرة من عمره. وأنشأ مع بعض رفاقه (مثل الشاعرين ميشيل الـمغربـي ووجيه الخوري) جمعيةَ الناشئة الأدبية سنةَ ١٩١٨م، وكانت تُعْنى بالحفلات الخطابية وتمثيل الرِّوايات الأخلاقية والاجتماعيّة، وكان من أفرادها النابِغين.

غادر موسى الحدّاد حمصَ فـي السادس عشر من شهر آذار/ مارس سنةَ ١٩٢٠ م[2] متّجهًا إلى مدينة سان باولو البرازيل، "وهناك تَعاطَى التجارة"[3]، حيث عملَ فـي متجر لابن عم والده بالتبنّي أسعد حدّاد، ثمّ افتتح بعدَ مدّة من الزمن محلًّا له فـي الـمدينة بعدَ زواجه من الآنسة رفيقة مرشد سنةَ ١٩٢٥ م. لكنّ موسى الحدّاد لـم يغفل عن الشعر، حيث كانت تجيش فـي نفسه بواعثُه من حينٍ إلى حين، فينظم منه ما يعنُّ على خاطره منه متأثِّرًا بما يبدو فـي محيطه من الدوافع الاجتماعية والوطنية، وما يخالج قلبَه من عوامل الحياة والـمعيشـة. وكـان يتجلَّى ذلك فـي نقدِه بعضَ الظواهر الاجتماعيَّة واهتمامه بقضـايـا الأمَّة

---

[1] انظر: أعلام الأدب والفنّ، أَدْهم آل جنْدِي، الجزء الأوّل، ص١١٤.

[2] جاء فـي جريدة حِمْص (العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٦) أنَّه أبحرَ متَّجهًا إلى البرازيل فـي أول كانون الثانـي/ يناير، سنة ١٩٢٠ م، حيث استقبله ابنُ عمّ والده بالتبنّي أسعد عبد الله حدّاد.

[3] انظر: أعلام الأدب والفنّ، أَدْهم آل جندي، الجزء الأوّل، ص١١٥.



وهمومها والوطن ما يَعْتريه والعرب وما يطوف بهم من مآسٍ ومِحَن.

ترك موسى الحدّاد العملَ نهائيًا سنةَ ١٩٥٥ م بعد أن رأى أنَّ القليلَ الذي فـي جعبته يكفيه للعيش حياةً هادئة، وانتقلَ إلى مدينة سانطوس البرازيلية حيث قضى بقيَّة حياته على شاطئ الأطلسي متأمِّلًا ومتفكِّرًا. وعندما بلغَ السبعين من عمره كان الوهنُ قد سرى فـي جسده، فطافَ عددًا من الـمستشفيات ووقفَ على أشهر الأطبّاء دون جدوى، إلى أن وافَتْه الـمنيَّة، فاحتضنه النادي الحمصي ميِّتًا مثلما احتواه شاعرًا حيًّا، وأبَّنه مجموعةٌ من أدبائه، وكان الدفنُ لائقًا بمَقامه.

وصفت جريدةُ حمص الشاعرَ بأنَّه كان "رجلًا ربعَ القامة، جذّابَ الشخصيّة، طيّبَ العشرة، مخلصًا فـي صداقته، حلوَ الحديث، حديثُه فَكِه. كما كان مُولعًا باللغة البرازيليّة ومطّلعًا على آدابها وآداب البرتغال"[1].

لم يلقَ الشاعرُ موسى الحدّاد من اهتمام الدارسين ومُتتبِّعي أعلام الأدب الـمهجري ما يستحقّ، فها هو الأديبُ الـمهجري الـمعروف جورج صيدح مؤلِّف كتاب «أَدبُنا وأُدَباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة» الذائع الصيت يكتفي بنحو سطرين من الحديث عنه[2]، مع ذكر بضعة أبيات شعرية له فـي مواضعَ من كتابه. أمّا الدُّكْتور محمَّد عَبْد الـمُنْعِم خَفاجي فأدرج

[1] انظر: جريدة حِمْص، عدد خاصّ بمناسبة مُرور خمسين عامًا على تَأْسيسها، مطرانيّة الروم الأرثوذكس، حمص، ١٩٥٩ م، ص١٤١.

[2] انظر: أدبنا وأدباؤنا فـي الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدَح، ص٤٢٠.



له قصيدةً واحدة فـي كتابه الكبير «قِصَّة الأَدَب الـمَهْجَري»، ولكن لم يأتِ على شيْءٍ من حياته أو مَسِيرته الشعريّة[1]، كما لم يذكره الأديبُ عيسى الناعوري قطّ فـي كتابه الـمهمّ «أدب الـمهجر». ورغم مُعاصِرة الأديب الـمهجري اللبنانـي تَوْفيق فَضْل الله ضَعُون للشاعر لم يخرج بشيٍ عنه فـي كتابه الـمَرْجِعيّ «ذِكْرى الهجرة» الصادر فـي سان باولو سنةَ ١٩٤٦ م، وكذلك فعل البَدوي الـملثّم يَعْقوب العودات فـي كتابه «الناطقون بالضاد فـي أميركا الجنوبيّة» الصادر سنةَ ١٩٥٦ م، علمًا بأنّ هذه الكُتُبَ هي من أهمّ كتب الأعلام فـي الأدب الـمَهْجري. ولا أعلم سببَ ذلك التقصير فـي حقِّ هذا الشاعر، حيث أفضى ذلك إلى ضياع كثيرٍ من شعره، إن لم يكن معظمه.

تُوفِّي الشاعرُ سنةَ ١٩٧٠ م فـي مدينة سان باولو دون أن يُعقِّب، ودُفِنَ فيها. ولكن يُلاحَظ أنَّ عددًا من الـمراجع التي تحدّثت عن الشاعر – على قِلّتها – أخطأت فـي تعيين سنة وفاته، فجعلتها سنةَ ١٩٦٠ م أو لم تهتدِ إليها. وقد رثاه زميلُه فـي الـمهجر وابنُ مدينته نبيه سلامة، فقال[2]:

يـا راحِـلًا وقُلُـوبُ الصَّـحْبِ دامِيَـةٌ تَبْكِـي الـمَوَدَّةَ والإِخْـلاصَ والأَدَبـا

---

[1] انظر: قِصَّة الأدب الـمَهْجَري، الدكتور محمَّد عبد الـمُنْعِم خفاجي، دار الكتاب اللبنانـي، بَيْروت، لبنَان، ١٩٨٦ م، ص٢٨٧.

[2] ديوان الشـاعر الـمَهْجري نبيه سـلامة، د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبـعـة الأولى، دار الإرشاد، حمص، سوريَّة، ٢٠٢١ م، ص٨٥.

أَلَـــمْ تَكُـــنْ بُلْـــبُلًا يَشْـــدُو فَنَسْـــمَعَهُ؟ وتَنْتَشِـــي الـــنَّفْسُ مِـــنْ أَلْحَانِـــهِ طَرَبـــا

وغِبْـــتَ عَنّـــا، فَغابَـــتْ كُـــلُّ مُؤْنِسَـــةٍ وطِيـــبُ ذِكْـــرِكَ لم يَـــبْرَحْ، ولا غَرَبـــا

وقد وصفَ نبيه سلامة موسى الحدّاد في مقالته بجريدة حمص بعدَ وفاته بأنَّه "كان محبًّا للأدب، غَيُورًا عليه، فالتصقَ بأدباء الجاليَة، وكان معهم من دعائم الأدب الـمَهْجري؛ وقال الشعرَ الـمَتين، وتفنَّن في أنواعه، ورنَّ صوتُه في كلِّ الحفلات؛ وكان في النادي الحِمْصي من العاملين، واشتركَ في إدارته أكثرَ من مرَّة، وكان الخطيبَ القدير للنادي"[1].

نظمَ الشاعرُ موسى الحدّاد على *عدَّة* بحور، وقد نال البحرُ الطويل جزءًا مهمًّا من قصائده، وبلغَ ما استطعتُ جمعَه له في هذه الطبعة (الثانية) ٤٧١ بيتًا (في ٣١ قصيدة ومقطَّعة ونُتْفَة). وتنوّعت **أغراضُه وموضوعاتُه** ما بين *الوصف والغزل والرِّثاء والـمَديح غير الـمُسِفّ والحنين والفَخْر* وغير ذلك؛ ففي الحنين يقول من قصيدته «حُطام»:

مَـــــــرَّتْ ثَلاثُـــــــونَ عامًـــــــا أَفْنَيْـــــــتُ فِيهـــــــا شَبابـــــــي

مـــــا بَـــــيْنَ كَـــــأْسٍ وعُـــــودٍ ولَـــــــهْوَةٍ وتَصابِـــــــي

ꕤꕤ

واليَـــــوْمَ أَجْلِـــــسُ وَحْـــــدِي أَقْتـــــاتُ بالـــــذِّكْرَياتِ

مُقَلِّبًـــــا فـــــي حُطـــــامٍ قَـــــدْ كـــــانَ بَعْـــــضَ حَياتـــــي

---

[1] جريدة حِمْص، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٧.

وفـي رثاء الأديب داود قُسْطنطين الخوري يقول فـي قصيدة بعنوان «دَمْعَة»:

قَضَـيْتَ فَحُـقَّ الأَسَـى والبُكـاءْ		وغُيِّبْـتَ عَنّـا فَعَـزَّ العَـزاءْ
وخَطْـبٌ كَخَطْبِـكَ فـي مَـوْطِنٍ		يُعَلِّـمُ مِـثْلي كَيْـفَ الرِّثـاءْ
تُسِـيلُ القَوافـي عـلى طِرْسِـهِ		دُمُوعًـا تُسَـجِّلُ صِـدْقَ الوَفـاءْ
تُفَجِّرُهـا مُقْلَـةٌ لِلْـيَراعِ		ومـا لِلْـيَراعِ سِـوَى الحُـزْنِ داءْ

وقَرضَ الشاعر قصيدةً بمناسبة الاحتفال بتَدْشين البِناية التي شيَّدها للميتم السُّوري الـمِحْسانُ أَسْعد عبد الله، فقال مادحًا هذا العملَ الخيْري الكريم:

أَكِـرْمْ بِمَـنْ شـادَ هـذا الصَّـرْحَ مُنْـدَفِعًا		بِجَـوْهَرِ النُّبْـلِ والإِحْسـانِ والشِّـيَمِ
ضَـمَّ اليَتـامَى، وقَبْـلَ اليَـوْمِ ضَـمَّهُمُ		قَلْـبٌ لَـهُ، عَـنْ فِعـالِ الخَـيْرِ لَـمْ يَـنَمِ
هُـمْ كالـمُرُوءَةِ حِـينَ الـدَّهْرُ يَنْكُبُهـا		فـي أَهْلِهـا، فَـتَرَى أَهْـلًا بِغَـيْرِهِمِ
مـا راعَهُـمْ ونُيُـوبُ اليُـتْمِ بـارِزَةٌ		فَعَـزْمُ أَمْثالِـهِ يَقْضِـي عـلى اليَـتَمِ
ولم يَضُـرُّهُمْ إذا هُـمْ أَهْلَهُـمْ فَقَـدُوا		فالأَسْـخِياءُ لَـهُمْ أَهْـلٌ بِعَطْفِهِـمِ

ولم يغبِ *التأَمُّل* فـي بعض ظواهر الحياة عن شعر موسى الحدَّاد، ففي قصيدته الآسرة «الحَفّار» يقول:

عِشْـتَ السِّـنِينَ وأَنْـتَ تَحْـ		ـفِـرُ لِلْـوَرَى شَـتَّى القُبُـورْ
سِـيّانَ رائِحَـةُ الرُّفـا		تِ لَـدَيْكَ، أو عَبَـقُ الزُّهُـورْ

عِشْــــتَ السِّــــنِينَ وأَنْـــتَ تَـــدْ عُــــو لِلـــــرَّدَى بِدَوامِـــــهِ
فَكَفـــافُ عَيْشِـــكَ كـــانَ مُـــرْ تَهَنًــــا بِوَقْـــــعِ سِــــهامِهِ

ﮋﮊﮋﮊ

خَمْسِــــينَ حَـــوْلًا قَـــدْ طَوَيْــــ ـــتَ، ومــا بأُذْنِــكَ مِــنْ صَــدَى
إلّا لِقَهْقَهَــــــــةِ الضَّريــــــــ ـــحِ، وصَــوْتِ عَرْبَــدَةِ الــرَّدَى

ﮋﮊﮋﮊ

وتَرَكْــــتَ فــــي الــــدُّنْيا أُنـــا سًـــا لِلتَّكالُـــــبِ والعِــــراكْ
فــــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ يَحْفِـــرُو نَ لبَعْضِـــــهِمْ حُفَــــرَ الهَـــلاكْ

فـي هذه القصيدة ينظر الشاعرُ إلى مآل الحفَّار الذي لم يختلف عن مآل من كان يحفر لهم القبور، ويطوفُ بما كان يراه وما يسمعه من أنين الفاقدين أو من نِفاق الـمُعزِّين، ولا ينسى أن يُسْقِط بعضَ الـمعانـي التأمّلية على حال الناس الذين لـم يأتِ دورُهم فـي وداع هذه الدنيا وفِراق زينتها وخِداعها.

ومن ملامح فخره واعتزازه بنَفْسه قولُه فـي قصيدته «وأَنْتَ سَمائي»:

تَرَكْــتُ لِقَــوْمٍ جِــدَّةَ الثَّــوْبِ والغِنَــى وخَلَّفْـــتُ جــاهَ الأَدْعِيَـــاءِ وَرائِــي
وقُلْــتُ لِفَقْــري، وَهْــوَ فـــي كِبْريائِــهِ: سَـــماؤُهُمْ أَرْضِــي، وأَنْـــتَ سَــمائِي

فهو يَرْبأ بنفسه عن استدراج عطف الأغنياء أو استجداء عَطائهم.

ويُلاحظ فـي شـعره قَبَسٌ مـن *الحكمة وعمق التبصُّر فـي الحياة*، مثلما يبدو مـن الأبيات

السابقة عن الحفّار. كما يبدو لي أنَّه كان يميل إلى *العزلة والوحدة والنقد الاجتماعي*، ويتجلّى ذلك في قوله في قصيدةٍ عنوانها «الـمُجْتَمعات العُموميّة والعائِليّة»:

قالَ لي «نُقّادُ»: ماذا جَدَّ لَكْ … مِنْ أُمُورِ الدَّهْرِ حَتَّى بَدَّلَكْ؟
ما عَهِدْنا فِيكَ بُعْدًا وجَفا … بَلْ نَدِيمًا تَشْهَدُ النُّدْمانُ لَكْ
طَلِّقِ العُزْلَةَ، واسْلُكْ بَيْنَنا … مِثْلَما غَيْرُكَ في اللَّهْوِ سَلَكْ
قُلْتُ: لَهْوِي غَيْرُ ما تَعْرِفُهُ … في الذي لَذَّ لَهُمْ أو لَذَّ لَكْ
كَمْ رَماني الحَظُّ في حَلَقاتِهِمْ … وأَدِيمُ اللَّيْلِ مُشْتَدُّ الحَلَكْ!
لَمْ أَجِدْ واحِدَةً أو واحِدًا … مِنْهُمُ ناصِيَةَ الظُّرْفِ مَلَكْ
لا حَدِيثٌ مُطْرِبٌ، لا نُكْتَةٌ … تُطْرِبُ «الشَّيْطانَ» فِيهِمْ و «الـمَلَكْ»
بَلْ حَدِيثُ «اللُّعْبِ» و «الجَخِّ» ومَنْ … حَلَّقُوا بالـمالِ ما فَوْقَ الفَلَكْ
وَانْقَضَتْ سَهْرَتُهُمْ، لكِنْ على … صِفَةِ «الوِسْكِي» ووَصْفِ «الكَدِلَكْ»

ومن ذلك أيضًا قصيدةٌ بعنوان «الغَيْرة الخَرْساء»، وفيها استوحشَ موقفًا رأى فيه رجلًا يزور قبرًا لامرأة، حيث كان يعمل على تَزْيين قَبْرها، وإلى جواره امرأةٌ أخرى جامدة الـمَلامح، وأَماراتُ الامتِعْاض والقلق مرتسمةٌ على محيّاها الـمتحوِّل إلى الجهة الـمُعاكِسة. فسأل: هذا قَبْرُ من؟ فقيلَ له: قَبْرُ زَوْجتِه الأولى. فقال: ومن هذه التي إلى جانبِه، فأجابُوا: زَوْجتُه الثانية. وها هو يقول في قصيدته التي جاءت من وحي ذلك الـموقف:

ذَوَتْ في رَبِيعِ العُمْرِ، في مَيْعَةِ الصِّبا … فَغَيَّبَ مَعْها القَلْبَ، وَاعْتَنَقَ اليَأْسا

ومـــا إِنْ تَولَّـــى العــامُ حَتَّـــى اسْـــتَرَدَّهُ	بِغانِيَـــــةٍ رَدَّتْ عـــــلى دارِهِ الأُنْســـــا
وأَقْبَـــــلُ يَـــــوْمُ الــــرّاحِلِينَ فَأَقْبَلَــــتْ	عَلَيْـهِ، وقالَـتْ: لا تَـزُرْ وَحْـدَكَ الرَّمْسـا
فَسـارَ وسـارَتْ لِلضَّـريحِ، ولَـمْ تكُـنْ	لِتُـدْرِكَ مـا قَـدْ يَصْـدُمُ القَلْـبَ والحِسّـا
رَأَتْ شَـــبْحَ الـماضِـــي يَلُـــوحُ لِلْفَتَـــى	عَـلى القَـبْرِ بالـذِّكْرَى مَخافَـةَ أَنْ يَنْسَـى
فَكـــانَ لِـــجَمْراتِ الحَنِـــينِ انْتِفاضُـــها	ولِلْغَـــيْرَةِ الخَرْســـاءِ ثَوْرَتُهـــا الخَرْســـا

ومن قصائده فـي النقد الاجتماعي قصيدة «إلى (لَيْلى العَصْر) ز.و.ن»، وفيها يقول:

تَزَوَّجْـــتِ مِـــنْ كَهْـــلٍ وأَنْـــتِ صَـــغِيرَةٌ	فَكُنْـــتِ لِظُلْـــمِ الأَهْـــلِ شَرَّ ضَـــحِيَّةِ
وشـاخَ وأَنْـتِ اليَـوْمَ فـي مِيعَـةِ الصِّـبا	تَــذُوبِينَ مِــنْ حُــزْنٍ ووَجْــدٍ وحُرْقَــةِ
رِدِي العَـذْبَ مِـنْ مـاءِ الحَيـاةِ، وطَلِّقِـي	ثُمالَــةَ كَــأْسٍ مــا حَبَــتْ غَــيْرَ غُصَّــةِ
ولَبِّـــي صُراخًـــا لِلطَّبِيعَـــةِ عـــادِلًا	فَسُـــنَّتُها يـــا «لَيْـــلَ» أَعْـــدَلُ سُـــنَّةِ
فَما العُمْرُ «يا لَيْلَى» سِوَى الحُبِّ والصِّبا	بِغَيْرِهِمـــا مـــا الـــمَرْءُ إِلّا كَصَـــخْرَةِ
دَعِـي زَوْجَـكِ الفانِـي يَـذُوبُ لِوَحْـدِهِ	قَصاصًـــا، ويَشْـــفَى بانْتِقـــامِ الطَّبِيعَـــةِ
ودُونَـــكِ أَبْـــوابُ النَّعِـــيمِ، فَمَتِّعِـــي	شَـــبابَكِ مِـــنْ عِشْـــقٍ وحُسْـــنٍ ولَـــذَّةِ
دَعِيـــهِ يُحاسِـــبْ نَفْسَـــهُ، فَلَعَلَّـــهُ	يَرَى لَكِ عُذْرًا فـي انْتِقاضِ «الـمَحَبَّةِ»
وإِلّا صِـباكِ الغَـضُّ يُسْـقَى لِنـاظِرِي	كَـوَرْدَةِ بُسْـتانٍ عـلى صَـدْرِ مَيِّـتِ

هذه بعضُ الأغراض والـموضوعات التي تناولها الشاعرُ موسى الحدّاد فـي قصائده، التي ضاع كثيرٌ منها. ولكن إذا أردنا الحديثَ عن **الإيقاع الخارجي** لديه، فقد كان فـي كثيرٍ

من قصائده يُنوِّع القافية فـي الواحدة منها، رغم أنَّه التزم البناءَ التقليدي للقصيدة العربيّة فيما سوى ذلك.

ومن الأمثلة على *تَنْويع القوافـي* فـي القصيدة الواحدة قصيدتُه «الحفّار» التي سبق أن أشرنا إلى بعض أبياتها، ومن ذلك أيضًا قصيدةٌ بعنوان «الـمِهْرَجان الأَكْبَر»، وفيها يقول:

عَلَـــمُ الجِهـــادِ وكَوْكَـــبُ الـــزَّمَنِ «نـــادِي العُرُوبَـــةِ» مِنْـــبَرُ الحُـــرِّ
فَـــرْعُ العُـــلى مِـــنْ دَوْحَـــةِ الـــوَطَنِ فَخْـــرُ الـــدُّنا بِرِجالِـــهِ الغُـــرِّ

ﮓﮔﮓﮔ

أَنْعِـــمْ بِهـــذا الـــمَهْرجانِ ومـــا هَيَّأْتِـــهِ لِشَـــبِيبَةِ العاصِـــي
يُوبِيلُهـــا الـــذَّهَبي قَـــدْ بَسَـــما لِلنَّـــاسِ مِـــنْ دانٍ ومِـــنْ قاصـــي

ﮓﮔﮓﮔ

سَـــلَخَتْ مِـــنَ الأَعْـــوامِ خَمْسِـــينا ومِـــنَ الـمآتِـــي الغُـــرِّ أَجْيَـــالا
كانَـــتْ عـــلى الأَيْتـــامِ تَأْمِينـــا ولَـــها عـــلى الأَذْهـــارِ تِمْثـــالا

وللشاعر قصيدةٌ بعنوان «حديث مع البَحْر» تبدو فيها *ظاهرتان للإيقاع الخارجي*، ولا أعلم ما إذا كان الشاعرُ قد لجأ إلى مثل ذلك فـي قصائد أخرى ضائعة، حيث لا يوجد فـي هذا الديوان سواها انتَحَتْ هذا الأسلوب. فـي هذه القصيدة التي جاءت على عدَّة مقاطِع (سبعة) أقام موسى الحدّاد وزنَها على بحرين: السَّريع والـمُتَقارِب، وكان كلُّ مقطع مكوَّنًا من ستَّة أبيات، يبدأ ببَيْتين على السَّريع وبقافية واحدة فـي كلّ الـمقاطع، ثمّ تأتـي الأبياتُ

الستّة الباقية على الـمُتَقارِب وبقافية تختلف من مقطع إلى آخر. وقد انتهت القصيدةُ ببيتَيْن مماثلين لـما بدأت به. ومن مقاطع هذه القصيدة قولُه:

يـــا بَحْـــرُ يـــا أُعْجوبَـــةَ الكائِنـــاتْ يـــا حُجَّـــةَ الآبـــادِ، مَهْـــدَ الحَيَـــاةْ
يـــا شـــاعِرًا يُصْـــغِي إلى شـــاعِرٍ فـــي صَـــدْرِهِ مـــا فِيـــكَ مِـــنْ أُغْنِيـــاتْ
فَفِـــي الـــمَدِّ شِـــعْرٌ، وفـــي الجَـــزْرِ لَحْـــنٌ وفـــي الـــمَوْجِ عَـــزْمٌ يَفُـــتُّ الحَجَـــرْ
تَكُـــرُّ الـــدُّهُورُ، وتَفْنَـــى العُصُـــورُ وأَنْـــتَ فَتًـــى، فَـــما مِـــنْ كِـــبَرْ
وتَهْـــزَأُ مِـــنْ عادِيَـــاتِ الزَّمـــانِ وتَسْـــخَرُ مِـــنْ جَـــبَرُوتِ البَشَـــرِ
فَيـــا لَـــكَ مِـــنْ كـــائِنٍ سَرْمَـــدِيٍّ تَحَـــدَّى القَضـــاءَ، وبَـــزَّ القَـــدَرْ

ꙮ

يـــا أَيُّهـــا الجَبَّـــارُ حَـــدِّثْ، وقُـــلْ عَـــمّا جَـــرَى فـــي الأَعْصُـــرِ الخالِيـــاتْ
صـــاحَبْتَ مُنْـــذُ البَـــدْءِ سَـــيّارَنا لا تَعْـــرِفُ التَّـــدْجِيلَ والتُّرَّهـــاتْ
تَسِـــيرُ عـــلى سَـــطْحِكَ الـــماخِراتُ وتَطْفُـــو عَلَيْـــهِ ضُرُوبُ الجِيَـــفْ
وتَحْضُـــنُ فـــي جَوْفِـــكَ السَّـــاطِعاتُ وغالـــي اللَّآلِـــي ودُونُ الصَّـــدَفْ
جَمَعْـــتَ النَّقِيضَـــيْنِ مِـــنْ نـــافِعٍ ومُـــؤْذٍ يَجُـــرُّ الأَسَـــى والأَسَـــفْ
فأَنْـــتَ الصَّـــدِيقُ، وأَنْـــتَ العَـــدُوُّ ومِنْـــكَ النَّجـــاةُ، وفِيـــكَ التَّلَـــفْ

ꙮ

كَـــمْ شـــاعِرٍ ناجـــاكَ فـــي شِـــعْرِهِ بِـــأَبْحُرٍ جَيَّاشَـــةِ القافِيَـــاتْ!

وَلَّـــــى وظَلَّـــتْ خالِـــداتٍ عـــلى تَعاقُـــــبِ الأَدْهـــــارِ كـــــالنَّيِّراتْ

تَخَـــذْتُكَ جـــارًا وأَوْفَـــى صَـــديقٍ فَعِشْـــتُ حَلِيـــفَ الوَفـــا والـــوَلا

هَـــــدِيرُكَ لَـــيْلًا نَهـــارًا أَخَـــفُّ عَـلى مَسْـمَعِي مِـنْ حـدِيثِ الـمَلا

مُلُوحَـــةُ مائِـــكَ أَمْسَـــتْ لَـــدَيَّ زُلَالًا، وعِشْـــــــرَتُهُمْ حَـــــــنْظَلا

فَـــنِعْمَ الجِـــوارُ، ونِعْـــمَ القَـــرارُ لِـــهَذا جَعَلْتُـــكَ لـــي مَـــوْئِلا

كما يَكثُر فـي شعره *تضمينُ الإسناد* الذي يمثّل لونًا من ألوان الإيقاع الخارجي فـي الشّعر، ومن ذلك قولُه فـي قصيدةٍ عنوانها «هُدْنَة فِلَسْطِين (هُدْنَة الشُّؤْم)»:

كُـــلُّ عُمْرانِنـــا، وكُـــلُّ غِنانـــا وشـــبابُ اسْـــتِقْلالِنا والـــذَّكاءُ

دُونَ جَـــيْشٍ وعُـــدَّةٍ واتِّحـــادٍ عِنْـدَ صَـوْتِ النَّفِـيرِ، فَهْـيَ هَبـاءُ

وقوله فـي قصيدة بعنوان «ناسٌ وناس»، وفيه التفافٌ أيضًا:

ولُبـــابُ القَـــوْلِ فَـــاعْلَمْ، وَهْـــوَ مِـــنْ خَـــيْرِ اللُّبـــابْ:

إِنَّ بَعْـــضَ النّـــاسِ نَحْـــلٌ، بَيْـــنَما الـــبَعْضُ ذُبـــابْ

ومن ذلك قوله أيضًا فـي قصيدته «حُطام»:

وبَيْـــــنَما كُنْـــــتُ أَلْـــــهُو مُطالِعًـــــــــا آياتِـــــــــهْ

طالَعْـــــتُ زَهْـــــرَةَ فُـــــلٍّ تَنـــــامُ فـــــي صَـــــفَحاتِهْ

وفـي قصيدة بعنوان «هُدْنَة فِلَسْطِين (هُدْنَةُ الشُّؤْم)»:

غَـــرَّرُوا بـــالجُيُوشِ حَتّـــى إذا مـــا أَوْشَـكَ العِلْـجُ فـي الـوَغَى أَنْ يَبِيـدا

أَدْبَــرُوا والسُّــيُوفُ غَضْــبَى حَيــارَى   نابِيــاتُ الحُــدُودِ تَنْعَــى «الحُــدُودا»

وأخرى بعنوان «الـمِهْرَجان الأَكْبَر»:

قُــلْ لِلَّـــذِينَ بِمالِـــهِمْ بَخِلُـــوا   وبِعَطْفِهِـــمْ ضَـــنُّوا عـــلى البُؤَســـا:

أَنْـــتُمْ عَـــنِ الـــدُّنْيا مَـــنِ انْعَزَلُـــوا   بَـــلْ أَنْـــتُمُ الأَيْتـــامُ والتُّعَســـا

أمّا على مستوى **الإيقاع الداخلي**، فنلاحظ فـي شعره بعضَ *الالتفاف* أو *ردّ العجز على الصدر*. ومن الالتفاف قولُه من قصيدة بعنوان «الإِحْسان»:

تَجْــرِي مِــنَ الأَعْــوامِ، تَكْــدَحُ جامِعًــا   مــا لِلــزَّوالِ، فَتَهْــزَأُ الأَعْــوامُ

ويقول فـي قصيدة أخرى بعنوان «لا تَلُومي ... ولا تَتَعَجَّبي»:

وقائِلَـــةٍ: رَأَيْـــتُ «زِيـــادَ» يَوْمًـــا   بِبـــابِ فَتًـــى تَسَـــفَّلَ عَـــنْ «زِيـــادِ»

وفـي قصيدة «الإِحْسان»:

فَـــإِذا أَرادُوا البَـــذْلَ مِـــنْ إِنْعـــامِهِمْ   سَـــبَقَ الإِرادَةَ ذلِـــكَ الإِنْعـــامُ

ومثله مثل جميع الشعراء، تجد فـي شعره شيئًا من *الطِّباق والتَّقْديم والتأخير وتكرار الحروف* وما إلى ذلك من ظواهر الـموسيقى الداخليّة. ومن التكرار قولُه فـي قصيدة «شَعْشِعِي الرَّاح»:

كـــانَ عَـــفَّ اللِّســـانِ شَـــهْمًا وَفِيًّـــا   كـــانَ حُـــرَّ الـــيَراعِ ثَبْـــتَ الجَنـــانِ

كـــانَ بـــالرّوحِ فاتِحًـــا عَرَبِيًّـــا   كـــانَ فـــي النَّثْـــرِ فـــارِسَ الـــمَيْدانِ

وأخيرًا، نشـير إلـى أنّ الشـاعرَ كان يلجأ فـي بعض الأحيان إلى عبارات أو كلمات شبه

عاميّة أو متداولة بين الناس من خارج القاموس الفصيح إمعانًا فـي إيصال فكرته أو الـمعنى الذي يريده، وقد لا يُسْعفُه فصيحُ الكلام فـي ذلك، شأنه شأن عددٍ من شعراء الـمهجر؛ ففي قصيدة «شَعْشِعِي الرَّاح» يقول:

لَـيْسَ حـالٌ تَـدُومُ مـا دامَ حـالُ الـدْ ـدَهْرِ يَمْضِـي فـي «اللَّـفِّ والـدَّوَرانِ»

فعبارةُ «اللَّفِّ والدَّوَرانِ» عبارةٌ شـعبيَّة دارجة تومئ إلـى الـمماطلة والتّسْويف واختلاق الأعذار. ويبدو لنا مثلُ ذلك جليًّا فـي قصيدته «الـمُجْتَمعات العُموميّة والعائِليّة»:

لا حَـديثٌ مُطْـرِبٌ، لا نُكْتَـةٌ تُطْـرِبُ «الشَّـيْطانَ» فِـيهِمْ و «الـمَلَكْ»
بَـلْ حـدِيثُ «اللُّعْـبِ» و «الجَـخِّ» ومَـنْ حَلَّقُـوا بالـمالِ مـا فَـوْقَ الفَلَـكْ
وَانْقَضَـتْ سَـهْرَتُهُمْ، لكِـنْ عـلى صِـفَةِ «الوِسْـكِي» ووَصْـفِ «الكَـدِلَكْ»

هذه بعض الـملامح التي رصدتُها فـي شعر موسى الحدّاد، الذي لم يخلُ من اللغة الـمباشرة والخطابية أحيانًا، ولكن لابدَّ أنَّ هناك الـمزيد، غير أنّ الـمقامَ هنا مقامُ جمع شعر، لا دراسته وتحليله ونقده، فذاك مقامٌ آخر.

الدّيوان

قافِيَةُ الأَلِفِ والهَمْزَة

دَمْعَة (على أستاذ الشُّعَراء وشاعر الأساتذة)[1]

(من الـمُتَقارِب)

قَضَــــيْتَ فَحُـــقَّ الأَسَـــى والبُكـــاءْ   وغُيِّبْـــتَ عَنّـــا فَعَـــزَّ العَـــزاءْ

وخَطْـــبٌ كَخَطْبِـــكَ فـــي مَـــوْطِنٍ   يُعَلِّـــمُ مِـــثْلي كَيْـــفَ الرِّثـــاءْ

تُسِـــيلُ القَوافـــي عـــلى طِرْسِـــهِ   دُمُوعًـــا تُسَـــجِّلُ صِـــدْقَ الوَفـــاءْ

تُفَجِّرُهـــــا مُقْلَـــــةٌ لِلْـــــيَراعِ   ومـــا لِلْـــيَراعِ سِـــوَى الحُـــزْنِ داءْ

[1] أعلام الأدب والفنّ، أدهم آل جندي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م، ص١١٥. هـذه الأبياتُ جـزءٌ مـن قصيدة لـم أجِد بقيّتها، وقد نظمَها الشـاعرُ سـنةَ ١٩٣٩م فـي رثاء الأديب داود قُسْـطنطين الخوري.



وأنتَ سَمائي[1]

(من الطويل)

تَرَكْــتُ لِقَــوْمٍ جِــدَّةَ الثَّــوْبِ والغِنَــى   وخَلَّفْــتُ جــاهَ الأَذْعِيــاءِ وَرائِــي

وقُلْــتُ لِفَقْــري وَهْــوَ فــي كِبْريائِــهِ:   سَــماؤُهُمْ أَرْضِــي، وأَنْــتَ سَــمائِي

[1] جريدة حِمْص، العدد ٤١٦، ١٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٠ م، ص٣. جاء هذان البيتان ردًّا على أحدهم عندما جاء مُعاتِبًا الشاعر.

قافِيَةُ البَاء

ناسٌ وناس[1]

(من مَجْزوء الرَّمَل)

هَـــــــلْ يُــــــلامُ الشَّــــــاعِرُ الفَنّــــــانُ إنْ دقَّ وَذابْ!؟

حَيْـــثُ يَلْقَــــى كُـــلَّ يَــــوْمٍ أَلْـــفَ لَــــوْمٍ وعِتــــابْ

فَتَقُـــولُ النّــــاسُ عَنْـــهُ: إِنَّــــهُ ضَــــلَّ الصَّــــوابْ

ضَـــلَّتِ النّــــاسُ بِــــما قالَتْــــهُ، والقَــــوْلُ مُعــــابْ

فَهْـــوَ كالنَّحْلَـــةِ فـــي الـــرَّوْضِ لـــها يَحْلُـــو الـــمَلابْ[2]

تَتَهـــادَى فَـــوْقَ شَــــتَّى الزَّهْـــرِ تَمْـــتَصُّ الرُّضـــابْ

✿✿✿

كُلَّـــــما داعٍ دَعـــــاهُ لِلْهَـــــوَى فَـــــوْرًا أَجـــــابْ

داخِـــلًا مِـــنْ أَلْـــفِ بـــابٍ لِـــمَناحِيهِ وبـــابْ

يَعْبُـــدُ الحُسْـــنَ عـــلى الـــدَّهْرِ، وإنْ شـــاخَ وشـــابْ

---

[1] جريدة حِمْص، العدد ٧٧٦، الجمعة، ٢ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ م، ص١، ٨. وقد مهَّد الشاعرُ لهذه القصيدة بقوله: "عندَ الأصيل وأنا على شاطئ البَحْر أَسْتَرْوِحُ النَّسيمَ العليل إذا بـي أمام لوحةٍ حيّة فـي مَعْرِض الطَّبيعة: شابٌّ حَسنُ الهِنْدام، أَبْيضُ البشرة، يُغازل زِنْجيَّةً فـي مُنْتَهى الدَّمامة وأَقْصى الرَّقاعة، وذلك بصورةٍ مَعِيبة وحالةٍ مُريبَة".

[2] الـمَلَاب: ضَربٌ من الطِّيب.



حــــــــامِلًا أَوْزارَهُ «حُبًّــــــــا» إلى يَـــــــوْمِ الحِســــــابْ

ﮩﮩ

ونَــرَى فـــي النّـــاسِ «ناسًـــا» وَهْـــيَ تَحْيـــا فـــي ضَـــبابْ

لَـــــيْسَ يَسْـــــبِيها فُتُـــــونٌ مِـــــنْ زُهُـــــورٍ وشَـــــبابْ

لا، ولا فَـــــــنٌّ جَمِيـــــــلٌ مِـــــــنْ أَغـــــــانٍ ورَبـــــــابْ

لَـــــمْ تُمَيِّـــــزْ عُمْرَهـــــا بَـــــيْنَ الكَنـــــارِي والغُـــــرابْ

فـــــي الـــــمَقاذِيرِ اسْـــتَقَرَّتْ، لَـــمْ تَجِـــدْ عَنْهـــا ارْتِغـــابْ

ﮩﮩ

ولُبـــــابُ القَـــــوْلِ فَـــــاعْلَمْ، وَهْـــــوَ مِـــــنْ خَـــــيْرِ اللُّبـــــابْ:

إِنَّ بَعْـــــضَ النّـــــاسِ نَحْـــــلٌ، بَيْـــــنَما الـــــبَعْضُ ذُبـــــابْ

حُطام[1]

(من الـمُجْتَثّ)

مَـــــرَّتْ ثَلاثُـــــونَ عامًـــــا أَفْنَيْـــــتُ فِيهـــــا شَبابـــــي
مـــــا بَـــــيْنَ كَـــــأْسٍ وعُـــــودٍ ولَـــــهْوَةٍ وتَصابِـــــي

ﮋﮊﮋﮊ

واليَـــــوْمَ أَجْلِـــــسُ وَحْـــــدِي أَقْتَـــــاتُ بالـــــذِّكْرَياتِ
مُقَلِّبًـــــا فـــــي حُطـــــامٍ قَـــــدْ كـــــانَ بَعْـــــضَ حَياتـــــي

ﮋﮊﮋﮊ

مـــــا بَـــــيْنَ مِنْـــــديلِ خَـــــزٍّ دُمُوعُهـــــا قَـــــدْ تُشَـــــرَّبْ
ومِـــــنْ إِنـــــاءٍ لَطِيـــــفٍ إلى يَـــــراعٍ مُـــــذَهَّبْ

ﮋﮊﮋﮊ

إلى زُجاجَـــــةِ طِيـــــبِ فـــــي عُلْبَـــــةٍ تَتَلَمَّـــــعْ
خَلَـــــتْ مِـــــنَ الطِّيـــــبِ، لكِـــــنْ بِـــــما مَضَـــــى تَتَضَـــــوَّعْ

ﮋﮊﮋﮊ

[1] جريدة حِمْص، العدد ٧٦٧، الجمعة، ٣١ آذار/ مارس ١٩٦٧ م، ص١، ٨. وقد مهَّد الشاعرُ لهذه القصيدة بقوله: "لقد جاوزَ الستِّين، إنّما بين الفَيْنةِ والفَيْنة تُعاودُه من ماضيه صورٌ مليئة بالعِبَر وذكرياتٌ فيّاضة بالحنين. واليومَ يقفُ على أطلال الشّباب الدارس، ويبعثُ بأنّاته كأنّات أوتارٍ واهية، وذلك فـي أبيات لو وعاها الزمانُ لاستَعْبر، أو وَقَعت فـي مَسْمَع الدَّهْر لاستَغْفر ...".

حَتَّـــــى انْتَهَـــــتْ بـــــي يَمينـــــي إلى كِتـــــــابٍ قَـــــــــدِيمٍ[1]
هَدِيَّـــــــــــــةٌ كَســـــــــــــواهُ تَـــــذْكارُ حُـــــــبٍّ ضَـــــمِيمِ

ﮪﮫﮬﮭ

وبَيْـــــنَما كُنْـــــتُ أَلْـــــهُو مُطالِعًـــــــا آياتِـــــــــــهْ
طالَعْـــــتُ زَهْـــــرَةَ فُـــــلٍّ تَنـــــامُ فـــــي صَـــــفَحاتِهْ

ﮪﮫﮬﮭ

قَـــــدِ اسْـــــتَحالَتْ لِرَسْـــــمٍ مُـــــذْ فارَقَتْهـــــا الـــــرُّوحُ
فَـــــلا نَضـــــارَةٌ فِيهـــــا ولا عَبِـــــــيرٌ يَفُـــــــوحُ

ﮪﮫﮬﮭ

فَعـــــــاوَدَتْني رُسُـــــــومٌ مِـــــنْ ماضِـــــيِ العَهْـــــدِ حُلْـــــوَى
لِسَلْوَتِـــــــي يَـــــــوْمَ كانَـــــتْ عَـــــمّا أُكابِـــــدُ سَـــــلْوَى

ﮪﮫﮬﮭ

لكِـــــنَّ كَيْـــــدَ الزَّمـــــانِ[2] سَـــــطا عَلَيْهـــــا اعتِســـــافا
ومـــــا اسْـــــتَغَلَّتْ جَمـــــالًا ولا اسْـــــتَباحَتْ عَفافـــــا

ﮪﮫﮬﮭ

إنْ أَنْـــــسَ لا أَنْـــــسَ يَوْمًـــــا زِيارَتِـــــــي إيّاهـــــا

---

[1] قصدَ الشاعرُ بالكِتاب القَديم روايةَ «غادَة الكاميليا» لاسكندر دوماس الإِبْن.

[2] وقفَ الشاعرُ على متحرِّك، ولا يصحّ ذلك في الـمُجْتَثّ، ويُرمَّم ذلك إذا قال: لكِنَّ كَيْدَ زَماني.

لَـــــــــمّا جَنَتْهـــــــــا بِلُطْـــــــــفٍ وَاسْتَنْشَـــــــــــــقَتْ رُباهـــــــــــا[1]

ꕤꕤ

وعَلَّقَتْهـــــــــــا بِصَـــــــــــــدْرِي إِذْ حـــــــانَ وَقْـــــــتُ الفِـــــــراقِ

وَاسْـــــــتَعْبَرَتْ، ثُـــــــمَّ قالَـــــتْ: هَيْهـــــــاتَ يُرْجَـــــــى تَلاقِـــــــي

ꕤꕤ

إِحْـــــــرِصْ عَلَيْهـــــا كَـــــذِكْرَى إِنْ كُنْـــــــتَ تَرْعَـــــــى هَوايـــــــا

فَالـــــــدَّاءُ أَوْشَـــــــكَ يُـــــودِي بِرَوْعَتِـــــــــــي وصِـــــــــــبايا

ꕤꕤ

عَــــــمّا قَلِيـــــــلٍ سَأَمْضِـــــــي كَـــــما سَتَقْضِـــــــي الزَّهْـــــــرَةْ

وهَكَـــــــذا كُـــــــلُّ حَـــــــيٍّ يَمْضِـــــــي، ويَـــــــتْرُكُ عَـــــــبْرَةْ

ꕤꕤ

فَكـــــــانَ آخِـــــــرَ عَهْـــــــدِي بِهـــــــا، وحُـــــــمَّ القَضـــــــاءُ

ومــــــا تَبَقَّــــــى حُطـــــــامٌ وزَهْـــــــــــرَةٌ مُومِيَـــــــــــاءُ

ꕤꕤ

وجُـــــذْوَةُ الأَمْـــــسِ تِلْـــــكَ الْـــــ ـــلَتـــــــي أَمَضَّـــــــتْ فُـــــــؤادِي

أَمْسَـــــــتْ بِحُكْـــــــمِ اللَّيالـــــــي نِفايَـــــــةً مِـــــــنْ رَمـــــــادِ

ꕤꕤ

[1] هكذا في الأَصْل، والصحيح: وَاسْتَنْشَقَتْ مِنْ رُباها.



وعَهْـــــــــــدُنا الـــــــــــمُتَوارِي وَراءَ حُجْـــــــــبِ الزَّمـــــــــانِ
عَهْـــــــدٌ تَوَلَّـــــــى وأَبْقَـــــــى سَـــــــحابَةً مِـــــــنْ دُخـــــانِ

تَبارَى يَراعِي فـي الرِّثاءِ ومَدْمَعِي[1]

(من الطويل)

وَقَفْــتُ حِيــالَ القَــبْرِ وِقْفَــةَ شــاعِرٍ أَلَــمَّتْ بِـهِ الأَحْـزانُ مِـنْ كُـلِّ جانِـبِ

أُعاتِــبُ دَهْــرِي كَيْــفَ يَسْــخُو بِمِثْلِـهِ أَدِيبًــا عِصــامِيًّا جَمِيــلَ الــمَناقِبِ

وحُــرًّا كَــرِيمَ الطَّبْــعِ عُنْوانُــهُ الوَفـا بِعِــزَّةِ نَفْــسٍ فَــوْقَ هــامِ الكَواكِــبِ

تَبــارَى يَراعِــي فــي الرِّثــاءِ ومَــدْمَعِي فَقَلْبِــيَ يَنْــزُو بَــيْنَ بــاكٍ وســاكِبِ

ﮋﮊﮋﮊ

أُجِــلُّ مُصــابًا فِيــكَ أَشْــمَتَ دَهْرَنــا ورَوَّعَ دُنْيانــــا بِرَمْيَــــةِ صــــائِبِ

عــلى أَنَّ هــذا الــدَّهْرَ دَهْــرُ مَصــائِبٍ وفَقْــدُكَ يــا «داوُد» أَدْهَــى الــمَصائِبِ

تَرَحَّلْــتَ عَنّــا قَبْــلَ يَوْمِــكَ دُونَ أَنْ يَكُــونَ النَّــوَى بِحُسْــبانِ حاسِــبِ

كَــأَنَّ الــمَنايا عاجَلَتْــكَ بِغَــدْرِها وتَــمَّ لَهــا فــي فَوْزِهــا فَــوْزُ غالِــبِ

فَشَــلَّتْ لِســانًا لَــمْ تَخُنْــهُ فَصــاحَةٌ وأَصْــمَتْ فُــؤادًا لَــمْ يلِــنْ لِلنَّوائِــبِ

فَسِــرْ هانِئًــا لِلْخُلْــدِ يــا خَــيْرَ راحِــلٍ فَقَـدْ كُنْـتَ فــي الـدُّنْيا لَنـا خَـيْرَ صـاحِبِ

---

[1] داود شكّور – أَديب وخَطيب، تنسيق وجمع: نبيه سلامة، دار الـمراحل للطباعة والنشر، سان باولو، البرازيل، ١٩٧٠ م، ص٢٨. نظمَ الشاعرُ هذه القصيدةَ فـي رثاء الأديب داود شكّور.



أَنا سُورِيّ[1]

(من مجزوء الرَّمَل)

أَنـــــا سُـــــــورِيٌّ وفـــــــي جَنْبِـــــيَّ قَلْـــــبٌ عَرَبـــــي
لَـــــيْسَ يَحْيَـــا لِسِـــــوَى العُـــــرْبِ ومَجْـــــدِ العَـــــرَبِ
رَغْـــمَ أَنْـــفِ العُسْـــرِ واليُسْـــــــرِ، ورَغْـــــمَ النُّـــــوَبِ
أُمَّتِـــــي دِينـــــي وإِيـــــا نِـــــي وأُمِّـــــي وأَبـــــي

[1] الشِّعْر القَوْمي فـي الـمَهْجَر الجنوبـي، د. عزيزة مريدن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣ م، ص٣٦٧.

قافِيَةُ التَّاء

حديثٌ مع البَحْر[1]

(من السَّريع والـمُتَقارِب)

يـــا بَحْـــرُ يـــا أُعْجُوبَـــةَ الكائِنـــاتْ يـــا حُجَّـــةَ الآبـــادِ، مَهْـــدَ الحَيَـــاةْ

يـــا شـــاعِرًا يُصْـــغِي إلى شـــاعِرٍ فـــي صَـــدْرِهِ مـــا فِيـــكَ مِـــنْ أُغْنِيـــاتْ

فَفِـــي الـــمَدِّ شِـــعْرٌ، وفـــي الجَـــزْرِ لَحْـــنٌ وفـــي الـــمَوْجِ عَـــزْمٌ يَفُـــتُّ الحَجَـــرْ

تَكُـــرُّ الـــدُّهُورُ، وتَفْنَـــى العُصُـــورُ وأَنْـــتَ فَتًـــى، فَـــما مِـــنْ كِـــبَرْ

وتَهْـــزَأُ مِـــنْ عادِيـــاتِ الزَّمـــانِ وتَسْـــخَرُ مِـــنْ جَـــبَرُوتِ البَشَـــرِ

فَيـــا لَـــكَ مِـــنْ كـــائِنٍ سَرْمَـــدِيٍّ تَحَـــدَّى القَضـــاءَ، وبَـــزَّ القَـــدَرْ

❁❁❁

يـــا أَيُّهـــا الجَبَّـــارُ حَـــدِّثْ، وقُـــلْ عَـــمّا جَـــرَى فـــي الأَعْصُـــرِ الخالِيـــاتْ

صـــاحَبْتَ مُنْـــذُ البَـــدْءِ سَـــيّارَنا لا تَعْـــرِفُ التَّـــدْجِيلَ والتُّرَّهـــاتْ

تَسِـــيرُ عـــلى سَـــطْحِكَ الـــماخِراتُ وتَطْفُـــو عَلَيْـــهِ ضُرُوبُ الجِيَـــفْ

وتَحْصُـــنُ فـــي جَوْفِـــكَ السَّـــاطِعاتُ وغالـــي اللَّآلِـــي ودُونُ الصَّـــدَفْ

جَمَعْـــتَ النَّقِيضَـــيْنِ مِـــنْ نـــافِعٍ ومُـــؤْذٍ يُجُـــرُّ الأَسَـــى والأَسَـــفْ

---

[1] قِصَّةُ الأدب الـمَهْجَري، الدكتور محمَّد عبد الـمُنْعِم خفاجي، دار الكتاب اللبنانـي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م، ص٢٨٧-٢٨٨.

فأَنْـــتَ الصَّـــدِيقُ، وأَنْـــتَ العَـــدُوُّ ومِنْـــكَ النَّجـــاةُ، وفِيـــكَ التَّلَـــفْ

ﮋﮊﮋﮊ

كَـــمْ شـــاعِرٍ ناجـــاكَ فـــي شِـــعْرِهِ بِـــأَبْحُرٍ جَيَّاشَـــةِ القافِيَـــاتْ!

وَلَّـــى وظَلَّـــتْ خالِـــداتٍ عـــلى تَعاقُـــبِ الأَدْهـــارِ كـــالنَّيِّراتْ

تَخِـــذْتُكَ جـــارًا وأَوْفَـــى صَـــديقٍ فَعِشْـــتُ حَلِيـــفَ الوَفـــا والـــوَلا

هَـــدِيرُكَ لَـــيْلًا نَهـــارًا أَخَـــفُّ عَـــلى مَسْـــمَعِي مِـــنْ حَـــدِيثِ الـــمَلا

مُلُوحَـــةُ مائِـــكَ أَمْسَـــتْ لَـــدَيَّ زُلَالًا، وعِشْـــــــرَتُهُمْ حَـــــــنْظَلا

فَـــنِعْمَ الجِـــوارُ، ونِعْـــمَ القَـــرارُ لِـــهَذا جَعَلْتُـــكَ لـــي مَـــوْئِلا

ﮋﮊﮋﮊ

يَحْيـــا الفَتَـــى التِّسْـــعِينَ لكِنَّـــهُ لا يَجْتَنِـــي تِسْـــعًا مِـــنَ الطَّيِّبـــاتْ

يُجابِـــهُ الأَقْـــدارَ فـــي عَسْـــفِها سَـــعْيًا وَراءَ الـــرِّزْقِ والـــمُغْرِياتْ

لَبَيْـــتُ «الـــمَعَرِّي» عـــلى شَـــكِّهِ وفـــي زُهْـــدِهِ بِنَعِـــيمِ السَّـــما

سِراجُ البَصِـــــيرَةِ قـــادَ خُطـــاهُ فَـــما عاقَـــهُ شَـــكُّهُ والعَمَـــى

لَقَـــدْ كـــانَ بَحْـــرًا نَظِـــيرَكَ، لكِـــنْ بِـــما فـــاضَ عِلْـــمًا ومـــا عَلَّـــما

فآمَنْـــــتُ بالعَقْـــــلِ إيمانَـــــهُ وأَسْـــلَمْتُ فِيـــهِ كَـــما أَسْـــلَما

ﮋﮊﮋﮊ

وعُفْـتُ مـا فـي الكَـوْنِ مِـنْ ثَـرْوَةٍ فَعُـــدْتُ مِنْـــهُ قانِعًـــا بالفُتـــاتْ

لا عَـــنْ قُصُـــورٍ فـــي مَيادِينِهـــا لكِـــنْ بِـــما شـــاهَدْتُهُ مِـــنْ عِظـــاتْ

ورُحْـــــــتُ أُقَـــــــدِّسُ أَبْطالَنَـــــا كَواكِـــــبَ يَعْـــرُبَ مُنْـــــذُ القِـــدَمْ
أَظَلُّـــــوا الشُّـــــعُوبَ بِـــــأَعْلامِهِمْ وكــــانُوا لِعَهْـــــدٍ مَنــــارَ الأُمَـــــمْ
وإِنَّــــكَ يــــا بَحْــــرُ شــــاهِدُ عَــــدْلٍ بِــــــما سَــــــطَّرُوهُ بِحِـــــبْرٍ ودَمْ
ولَــــوْلَا التَّنابُـــــذُ فِينـــــا لَكُنَّـــــا ظَلَلْنَــــا حُمَـــاةَ العُــــلا والعَلَــــمْ

ﮰﮱﮰﮱ

يــــا شــــاعِرَ الــــدُّنْيا، وأَمْوَاجُـــــهُ قَصـــــائِدُ تُتْلَـــــى عـــلى الكائِنـــاتْ
يَخُــــطُّ فَـــــوْقَ الصَّـــــخْرِ أَشْـــعارَهُ مُــــــــرَدِّدًا آياتِـــــــهِ البَيِّنَــــــاتْ
فَهَـــلْ يَبْسُـــمُ الحَـــظُّ يـــا شـــاعِرًا فَأُبْصِــــرُ بـــالعَيْنِ مَجْـــدَ الجُـــدُودْ!؟
يَعُــــــودُ إِلى أَهْلِــــــهِ ناطِقًــــــا بِحَـــدِّ الـمَواضِـــي وخَفْـــقِ البُنُـــودْ
فِلَسْـــطِينُ مَـــدَّتْ يَـــدَيْها وصــاحَتْ: أَغِيثُـــوا فِلَسْـــطِينَ طـــالَ الهُجُـــودْ
بِمَـــــنْ تَسْـــــتَغِيثُونَ إِنْ دَهَمَــــتْكُمْ، وأَنْـــتُمْ نِيـــامٌ، جُمُـــوعُ اليَهُـــودْ؟

ﮰﮱﮰﮱ

أَجــــابَنِي البَحْـــــرُ بِمَقْطُوعَـــــةٍ مِـــنْ شِـــعْرِهِ الزَّاخِـــرِ بالرَّائِعـــات:
«حَيــــاتُكُمْ شِــــعْرٌ وأَيّامُهـــــا بُحُـــــورُهُ الـــــمُزْبِدَةُ الصَّـــــاخِباتْ
صَـــــحِبْتُ الخَلائِـــــقَ مُنْـــــذُ الأَزَلْ فَســـــارَتْ شُـــــعُوبٌ، ودالَـــــتْ دُوَلْ
يُهَـــــدِّمُها مِعْـــــوَلُ التَّفِرقـــــاتِ ويَـــدْعَمُها الـــرَّأْيُ عِنْـــدَ العَمَـــلْ
فَـــلَا مَجْـــدَ يُبْنَـــى بِغَـــيْرِ اتِّحـــادٍ وحُـــــبٍّ، وإِلَّا فَعـــــارُ الفَشَـــــلْ

تَغُـــورُ البِحـــارُ، وتَهْـــوِي النُّجُـــومُ   وآخِـــرُ شَيْءٍ يَـــزُولُ ... الأَمَـــلْ"

ﮰﮱﮰﮱ

يـــا بَحْـــرُ يـــا أُعْجوبَـــةَ الكائِنـــاتِ   يـــا حُجَّـــةَ الآبـــادِ، مَهْـــدَ الحَيَـــاةْ

يـــا شـــاعرًا أَصْـــغَى إلى شـــاعِرٍ   يَعِـــيشُ بالآمـــالِ والـــذِّكْرَياتْ

هُدْنَةُ فِلَسْطِين (هُدْنَةُ الشُّؤْم)[1]

(من الخفيف)

زَحْزِحِــي الهَــمَّ عَــنْ صُــدُورِ الكُــماةِ وَانْفُضِــي اليَــأْسَ مِــنْ نُفُــوسِ الأُبــاةِ
وَابْعَثِــي العَــزْمَ شُــعْلَةً فــي صُــدُورٍ أَخْمَــدَتْها بــالأَمْسِ كَــفُّ الجُنــاةِ
يــا بْنَــةَ الصِّــيدِ والحَرائِــرِ يَــوْمَ افْـــتَرَّ نَجْـمُ الفُتُــوحِ بالــمُرْهَفاتِ
أَنْــتِ جِنِّيَــةُ الفَــوارِسِ فــي الحَــرْبِ، وفــي السِّــلْمِ نَغْمَــةُ السَّــماواتِ
بُــحَّ صَــوْتُ الأَحْــرارِ نَظْــمًا ونَثْــرًا باحْتِجــاجٍ، وجَــفَّ مــاءُ الــدَّواةِ
مِــنْ أَعالــي النِّيــلِ الــمُقَدَّسِ، فــالأُرْدُنِّ حَتَّــى مَصَــبِّ نَهْــرِ الفُــراتِ
وأُولُــو الأَمْــرِ بَــيْنَ أَخْــذٍ ورَدٍّ وَاخْــتِلافٍ، وبَعْضُــهُمْ فــي سُــباتِ
كُــلَّ يَــوْمٍ نَــرَى انْقِلابًــا جَديــدًا وعُهُــودًا للطّــامِعِينَ الطُّغــاةِ[2]
والعَــدُوُّ الــدَّخِيلُ يَرْقُــبُ مِنّــا غَفْلَــةَ السَّــيْفِ واضْــطِرابَ الصِّــلاتِ

❀❀❀

لا تَلُــومي إذا أَطَلْــتُ مَلامِــي هُــمْ أَطــالُوا عَــنِ النِّضــالِ القُعُــودا

---

[1] جريدة حِمْص، العدد ٦٩٧، الجمعة، ٢٢ تشرين الأوّل/ أُكْتوبَر ١٩٦٥ م، ص١، ٨. مهَّد الشاعرُ لهذه القصيدة بقوله: "أربعةَ عَشَر عامًا مرَّتْ على الهُدْنة الـمَشْؤومة، وشيطانُ التَّفْرقة يعمل عملَه الهدّام في صفوف العرب، وعُيُونُ الـمسؤولين وأولياء الأمر لا تزال مُتَيَقِّظة ... ولكن للإيقاع ببَعْضهم بعضًا؛ فلا عجبَ إذا نامت عيونُ الحَرْب عن العدوِّ الدَّخيل، فجَلَت البقيّةُ الباقية عن أرض الـمَقْدس، ورَسختْ فيها أقدامُ إسرائيل".

[2] إشارة إلى حِلْف بَغْداد ونوري السَّعيد.

هُدْنَـــةُ الشُّـــؤْمِ لَـــيْسَ فيهـــا مِـــنَ الهُـــدْ ـنَـــةِ إلّا اسْـــمَها القَصِـــيرا الـــمَديدا
ضَرَبَـــتْ مَوْعِـــدَ اللّقـــاءِ مَـــعَ الحَشْـــ ـــرِ، فَلَـــنْ تَنْتَهِـــي، ولَـــنْ تَسْـــتَفِيدا
كـــانَ أَوْلى، غَـــداةَ هُـــمْ رَفَعُوهـــا، أَنْ تُسَـــمَّى لا هُدْنَـــةً بَـــلْ عَمُـــودا
هُدْنَـــةٌ لَـــمْ نَجِـــدْ لهـــا مِـــنْ مَثِيـــلٍ أَرْخَصَـــتْ ســـادَةً، وأَغْلَـــتْ عَبِيـــدا
وعَلَيْنـــا كَـــمْ أَضْـــحَكَتْ مِـــنْ قُـــرُودٍ يَـــوْمَ تَنْفِيـــذِها، وأَبْكَـــتْ أُسُـــودا!
لا عَفـــا اللهُ عَـــنْ جُنـــاةٍ أَبـــاحُوا قُـــدْسَ أَقْداسِـــهِمْ، فَـــراحَ شَـــهِيدا
غَـــرَّرُوا بـــالجُيُوشِ حَتّـــى إذا مـــا أَوْشَـــكَ العِلْـــجُ فـــي الـــوَغَى أَنْ يَبِيـــدا
أَدْبَـــرُوا والسُّـــيُوفُ غَضْـــبَى حَيـــارَى نابِيـــاتُ الحُـــدُودِ تَنْعَـــى «الحُـــدُودا»
وَانْطَـــوَى البَنْـــدُ مُودَعًـــا حُجَـــبَ النِّسْـــ ـيـــانِ مَـــذْ أَوْدَعُوهـــا الغُمُـــودا
نَسْـــلُ قَـــوْمٍ هَـــزُّوا العُـــرُوشَ، ورَاضُـــوا جـــامِحَ الـــدَّهْرِ يَـــوْمَ هَـــزُّوا البُنُـــودا

ꕥꕥꕥ

يـــا بْنَـــةَ الـــمَجْدِ والعُرُوبَـــةِ هُبِّـــي وَاذْكُـــرِي «خَيْـــبَرًا» وأُسْـــدَ الـــمَلاحِمْ
وَاذْكُـــرِي القُـــدْسَ يَـــوْمَ «صَـــلاحُ الـــدْ[1] ـــدِينِ» فِيهـــا فَـــلَّ الجُيُـــوشَ الخَضـــارِمْ[2]
رَكِـــبَ السَّـــيْفُ جَمِـــيعَهُمْ، فَتَوَلَّـــوْا يَحْسَـــبُونَ النَّجـــاةَ أَوْفَـــى الغَنـــائِمْ

---

[1] هكذا جاء الشطرُ في الأصل، وهو معتلّ الوَزْن. ولكن عندما عُدْتُ إلى ما جاء من أبيات القصيدة في كتابٍ آخر، وجدتُ أنَّ هذا البيتَ ورد كما يلي: واذْكُرِي القُدْسَ يَوْمَ سَيْفُ صَلاح الدِّين فيها فَلَّ الجُيُوشَ الخَضارِمْ (انظر: الشِّعْر القَوْمي في الـمَهْجَر الجنوبي، د. عزيزة مريدن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣ م، ص٤٣٠).

[2] الجُيُوش الخَضارِم: الكَبيرَة.

ضَرْبَــةٌ لَــمْ يَــزَلْ يَــرِنُّ صَــداها　　فــي زَوايــا التّــاريخِ عِنْــدَ الأَعــاجِمْ
أَطْلِقِــي الصَّــيْحَةَ التــي أَطْلَقَتْهــا　　أُخْــتُ صَــخْرِ النَّــدَى، وأُمُّ الضَّــراغِمْ
بَــلْ لَــيْسَ لِلْهَزيمَــةِ مَعْنًــى[1]　　عِنْدَهُمْ فــي الــوَغَى، ولا فــي الــمَعاجِمْ
عَــلَّ فــي صَــيْحَةِ الحَرائِــرِ رُوحًــا　　تَسْــتَنِيرِ الظُّبَــى، وتُــذْكِي العَــزائِمْ
سَرِّحِي الطَّـرْفَ، وَانْظُـري فـي البَـوادِي　　تَجِــدِي اللّاجِئِــينَ شِــبْهَ السَّــوائِمْ[2]
وبَنُــو أُمِّهِــمْ عَــنِ الثَّــأْرِ يَلْهُــو　　نَ سُــدًى بــاجْتِماعِهِمْ فــي العَواصِــمْ
لَيْــتَ حَــظَّ اتِّحــادِهِمْ فــي العَــوادِي　　مِثْــلُ حَــظِّ اتِّحــادِهِمْ فــي الــوَلائِمْ

❧❧

طالَــتِ الهُدْنَــةُ الــمُمِضَّةُ يــا أُخْـــ　　ـتــاهُ دَهْــرًا، وطــالَ مَعْهــا الــبَلاءُ
هِــيَ نَصْــلٌ يَحُــزُّ فِينــا، ولِلْأَعْــد　　اءِ رُوحٌ، ولِلــدُّنَا اســتِهْزاءُ
يُحْمَــدُ الصَّــبْرُ فــي الــمَكارِهِ، لكِــنْ　　عِنْــدَ حَــدٍّ يُصــانُ مَعْــهُ الحَيــاءُ
فــإذا الصَّــبْرُ جــاوَزَ الحَــدَّ يَوْمًــا　　قُــلْ: عــلى «الحَــيِّ» والحَيــاءِ العَفــاءُ
أَيْــنَ لِلْعُــرْبِ صــارِمٌ أَحْرَجَتْــهُ　　مِحْنَــةُ الصَّــبْرِ فَانْتَضــاهُ الإِبــاءُ!
يَنْسِــفُ الهُدْنَــةَ الدَّمِيمَــةَ نَسْــفًا　　ومَــعَ النَّسْــفِ تُنْسَــفُ الــدُّخَلاءُ
أَلْبَسُــونا مِــنَ النَّجِيــعِ بُــرُودًا　　حاكَهــا الخِــزْيُ يَــوْمَ دارَ القَضــاءُ

---

[1] هكذا جاءَ الشطرُ في الأصل، وهو معتلّ الوَزْن.

[2] سَوَائم: جَمْع سَائِمَة، والسَّائِمَة: كلُّ إِبْل أَو ماشيةٍ تُرْسَلُ للرَّعْي ولا تُعْلَف.



شُرَّدٌ رافَقُــوا العُصُــورَ وهُــمْ فــي مُقْلَــةِ الــدَّهْرِ والــمَلا أَقْــذاءُ[1]

نَبِّهــي القَــوْمَ يــا سُــعادُ وقُولــي قَبْــلَ أَنْ يَغْلِــبُ الــدَّواءَ الــدَّاءُ:

لَا انْتِــزاعَ لِــبُرْدَةِ العــارِ عَنّــا دُونَ أَنْ تَمْحُــو الــدِّماءَ الــدِّماءُ

ﮪﮫﮬﮭ

لَــيْسَ تُجْــدِي مَرافِــقُ العَــيْشِ مَهْــما عَمَّهــا اليُسْــرُ والرِّضَــى والرَّخــاءُ

ونُيُــوبُ اللُّيُــوثِ، وَهُــم[2] حِــدادٌ، حَطَّمَتْهــا النَّزْعــاتُ والأَهْــواءُ

كُــلُّ عُمْرانِنــا، وكُــلُّ غِنانــا وشَــبابُ اسْــتِقْلالِنا والــذَّكاءُ

دُونَ جَــيْشٍ وعُــدَّةٍ وَاتِّحــادٍ عِنْــدَ صَــوْتِ النَّفِــيرِ، فَهْــيَ هَبــاءُ

---

[1] أَقْذاء: أَوْساخ.

[2] هكذا جاءَ فـي الأَصْل، والصحيحُ وزنًا ولغة: وَهْيَ.

إلى (لَيْلى العَصْر) ز.و.ن[1]

(من الطَّويل)

تَزَوَّجْتِ مِنْ كَهْلٍ وأَنْتِ صَغِيرَةٌ فَكُنْتِ لِظُلْمِ الأَهْلِ شَرَّ ضَحِيَّةِ

وشاخَ وأَنْتِ اليَوْمَ في مِيعَةِ الصِّبا تَذُوبِينَ مِنْ حُزْنٍ ووَجْدٍ وحُرْقَةِ

رِدِي[2] العَذْبَ مِنْ ماءِ الحَياةِ، وطَلِّقِي ثُمالَةَ كَأْسٍ ما حَبَتْ غَيْرَ غُصَّةِ

ولَبِّي صُراخًا لِلطَّبيعَةِ عادِلًا فَسُنَّتُها يا «لَيْلَ» أَعْدَلُ سُنَّةِ

فَما العُمْرُ «يا لَيْلَى» سِوَى الحُبِّ بغَيْرِهِما ما الـمَرْءُ إلّا كَصَخْرَةِ

دَعِي زَوْجَكِ الفانِي يَذُوبُ لِوَحْدِهِ[3] قَصاصًا، ويَشْفَى بانْتِقامِ الطَّبيعَةِ

ودُونَكِ أَبْوابُ النَّعِيمِ، فَمَتِّعِي شَبابَكِ مِنْ عِشْقٍ وحُسْنٍ ولَذَّةِ

دَعِيهِ يُحاسِبْ نَفْسَهُ، فَلَعَلَّهُ يَرَى لَكِ عُذْرًا في انْتِقاضِ «الـمَحَبَّةِ»

وإلّا صِباكِ الغَضُّ يُسْقَى لِناظِرِي[4] كَوَرْدَةِ بُسْتانٍ على صَدْرِ مَيِّتِ

---

[1] مجلَّة الأَنْدلس الجَديدة (الـمَهْجريّة)، العَدد الـمُمْتاز، العام الرابع، تمّوز/يُوليُو ١٩٣٥ م، ص٧٨.

[2] رِدِي: من وَرَدَ.

[3] كلمة «لِوَحْدِهِ» خطأٌ لغويّ شائع، يقع فيه الكثيرُ من الكتّاب، والصحيح: وَحْدَه، ولكنَّ الوزنَ يَسْتقيمُ بوجود هذا الخطأ.

[4] هكذا بدا لي الشطرُ في الأصل، ولعلَّ الشاعرَ أراد أن يقول: يَبْدو لناظِري.

فِرْدَوْسُ الشَّاعِرِ[١]

(من السَّريع)

هَــلْ يَحْلُــمُ الشَّــاعِرُ يــا صــاحِبي بِجَنَّـــــةٍ أَرْوَعَ مِـــــنْ جَنَّتِــــكْ!؟
كـــأَنَّ يَوْمًـــا فيــــهِ أَبْــــدَعْتَها تَقَمَّـــصَ الرَّحْمــانُ فـــي بُرْدَتِـــكْ
غَشــــيتُها والصَّــــحْبُ مُسْـــتَأْذِنًا «رِضْــوانَها» السَّــابِحَ فـــي نِعْمَتِــكْ
إذا بـــي أَرَى فـــي كُــلِّ مــا صُــغْتَهُ، مِــنْ رَوْعَــةٍ فِيهــا، عــلى صُــورَتِكْ

❊❊❊

لا أَنْــسَ مــا فَكَّــرْتُ مَقْصُـــورَةً تَفِــيضُ بــالرَّائِعِ مِــنْ فِكْرَتِــكْ
جَعَلْــتَ مِنْهــا مَسْــرَحًا لِلنُّهَــى ومَهْبِطًــا لِلْــوَحْيِ فـــي خَلْوَتِــكْ
عَــــرائِسُ الشِّـــعْرِ وآياتُـــهُ تَغــايَرَتْ فيهــا عــلى رِيشَــتِكْ
كَــمْ شــاعِرٍ فـــي الحُلْــمِ وَدَّ الــذي أَتــاكَ طَــوْعَ الأَمْــرِ فـــي يَقْظَتِــكْ!
سَــلَبْتَ دارَ الخُلْــدِ أَعْلاقَهــا فَــزِدْتَ فـــي الــدُّنْيا عــلى ثَرْوَتِــكْ
إِنْ كــانَ فـــي الفِــرْدَوْسِ لـــي قِسْــمَةٌ تَزِيــدُ أَضْــعافًا عــلى قِسْــمَتِكْ
خُــذْها بأَيَّــامٍ ولَــوْ سَــبْعَةٍ فِيهــا أُنــاجِي اللهَ مِــنْ جَنَّتِــكْ

---

[١] مجلَّة العُصبة (الـمَهْجريَّة)، السنة الثانية عشرة، العدد ٣، سان باولو، أيّار/ مايو ١٩٥٢ م، ص٢٢٦. ومناسبةُ هذه القصيدة تعود إلى أنَّ موسى الحدَّاد مرَّ بدار الشاعر شفيق معلوف فـي أعالـي كمبوس دو جوردون، وهي تقعُ على رابية فتّانة الـمناظر، فأُعجبَ بها، وكتب عنها أبياتَه.



قافِيَةُ الحاء

فَجْرُ الاسْتِقْلال[1]

(من الخَفِيف)

سـائِلي السَّـيْفَ يَـوْمَ جَـدَّ الكِفـاحُ   كَيْـفَ كانَـتْ تِلْـكَ النُّفُـوسُ تُبـاحُ

إنَّـما لِلسَّـيْفِ يـا سُـعادُ بَياتًـا   عَرَّفَتْـهُ إلى النُّفُـوسِ الجِـراحُ

ജ൫ജ൫

سـائِلي حَوْمَـةَ الجِهـادِ فَتُنْبِـي   عَـنْ فَتَـى الـمَجْدِ كَيْـفَ طـاحَ وطـاحُوا

يَـوْمَ سـارَتْ جِنـازَةُ الحَـقِّ فِيهـا   والأَسَـى فـاضَ، والعُيُـونُ سَـحاحُ

مَيْسَـلُونُ عَرُوسَـةُ الـمَجْدِ فـي أَحْضا   نِهـا تَرْقُـدُ الوُجُـوهُ الصِّـباحُ

[1] أعلام الأدب والفنّ، أَدْهم آل جندي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م، ص١١٥. هذه الأبياتُ جزءٌ من القصيدة، ولم أجد بقيّتها، وقد نظمَها الشاعرُ سنةَ ١٩٣٦م، وألقاها في النادي الحِمْصي في سان باولو بالبرازيل.

قافِيَةُ الدَّال

ما راعَكِ الدَّهْر[1]

(من الطويل)

طَوَيْــتِ مِــنَ الأَمْجــادِ خَمْســينَ حِجَّــةً		ومــا راعَــكِ الــدَّهْرُ الخَــؤُونُ الــمَعانِدُ
فَــلا زِلْــتِ مَيْــدانًا لِكُــلِّ يَراعَــةٍ		تُكــافِحُ آفــاتِ الــوَرَى وتُطــارِدُ
ولا زِلْــتِ لِلإِرْشــادِ سِــفْرًا ومِنْــبَرًا		ولِلْــوَطَنِ الــمَعْبُودِ سَــيْفًا يُجاهِــدُ
كَفــاكِ اعْتِــزازًا أَنَّ اِسْــمَكَ ضــامِنٌ		لَــكَ الحَــظَّ مِــنْ طُــولِ البَقــاءِ ... وذائِــدُ
هُــوَ اسْــمٌ لِأُمٍّ أَطْلَعَــتْ كُــلَّ فَرْقَــدٍ		لَــهُ فــي سَــماءِ الــمَكْرُماتِ مَحامِــدُ

❀❀❀

مَدِينَــةُ حِمْــصٍ بَسْــمَةُ الحُــبِّ والرِّضــى		وزَأْرَةُ لَيْــثٍ إِنْ عَــدَتْها الشَّــدائِدُ
تَضُــمُّ رُفــاتَ الخالِــدَيْنَ عَــلى الــمَدَى		بِــذِكْرِهِما الفَــوّاحِ فاحَــتْ قَصــائِدُ
فَهَــذا «عَطــاءُ اللهِ»[2] خالِــدُ قَوْمِــهِ		وذلِــكَ سَــيْفُ اللهِ والفَــتْحِ «خالِــدُ»[3]

---

[1] جريدة حِمْص، عددٌ خاص (ممتاز) بمناسبة مرور ٥٠ عامًا على تأسيس الجريدة، ١٩٥٩ م، ص١٤١. نظم الشاعرُ هذه القصيدةَ بمُناسبة يُوبيلها الـماسي، ولم يكن لها عنوانٌ فوضعتُه من سياقِها.

[2] هو اثناسيُوس عطا الله، مُطْران حِمْص وتوابعها (ما بين سنتَيْ ١٨٨٦ -١٩٢٣ م)، وكلمةُ اثناسيُوس أَعْجميةٌ مَعْناها خالد.

[3] هو خالد بن الوليد، الفاتحُ العربـي الـمُسْلم الكبير، رضيَ الله عنه.

لا تَلُومي ... ولا تَتَعَجَّبي[1]

(من الوافِر)

وقائِلَـــــةٍ: رَأَيْـــتُ «زِيـــادَ» يَوْمًـــا ببـــابِ فَتًـــى تَسَـــفَّلَ عَـــنْ «زِيـــادِ»

مُـــرابٍ أَشْـــعَبِيٌّ[2] الطَّبْـــعِ فَـــظٌّ كَثِـــيرُ الـــمالِ مُـــنْكَمِشُ الأَيـــادي

لَـــهُ وَجْـــهٌ كَوَجْـــهِ القَحْـــطِ شَـــكْلًا فَـــلا أَمَـــلٌ لِغَرْثـــانٍ وصـــادِ[3]

ولم أَعْهَـــدْ «زِيـــادَ» سِـــوَى أَنُـــوفٍ أَبِـــيِّ الـــنَّفْسِ مَصْـــقُولِ الـــمَبادِي

فَقُلْـــتُ لَـــها: رُوَيْـــدَكِ لا تَلُـــومي ولا تَتَعَجَّبِـــــي، فالعَـــــذْرُ بـــــادِ

إِذا افْتَقَـــرَ الرَّفِيـــعُ إلى وَضِـــيعٍ أَمـــا افْتَقَـــرَ النَّخِيـــلُ إلى السَّـــمادِ!؟

---

[1] جريدة حِمْص، العَدد ٤٠٦، ١٣ تِشْرين الثانـي/ نُوفمبَر ١٩٥٩ م، ص١.

[2] أَشْعَبِيّ: نِسْبة إلـى أَشْعَب، رجلٌ من الـمدينة الـمنوّرة، يُضربُ بِهِ الـمَثل في الطَّمَع، وقد قيل: أَطْمَع من أَشْعب، وطَمَعٌ أَشْعَبِيّ.

[3] الغَرْثان: الجائِع، طاوي البَطْن. الصّادِي: العَطْشان.

قافِيَةُ الرَّاء

الحَفّار[1]

(مجزوء الكامِل)

عِشْـــــتَ السِّـــــنِينَ وأَنْـــــتَ تَحْـــــ ـفِـــــرُ لِلْـــــوَرَى شَـــــتَّى القُبُـــــورْ
سِـــــــيّانَ رائِحَـــــــــةُ الرُّفـــــــا تِ[2] لَـــــدَيْكَ، أو عَبَـــــقُ الزُّهُـــــورْ

ﮊﮋﮊﮋ

عِشْـــــتَ السِّـــــنِينَ وأَنْـــــتَ تَـــــدْ عُـــــــو لِلـــــــرَّدَى بِدَوامِـــــــهِ
فَكَفـــــافُ عَيْشِـــــكَ كـــــانَ مُـــــرْ تَهَنًـــــــا بِوَقْـــــــعِ سِـــــــهامِهِ

ﮊﮋﮊﮋ

خَمْسِـــــينَ حَـــــوْلًا قَـــــدْ طَوَيْـــــ ـــــتَ، ومـــــا بأُذْنِـــــكَ مِـــــنْ صَـــــدَى
إلّا لِقَهْقَهَـــــــــــــــةِ الضَّريـــــــــــــــ ـــــحِ، وصَـــــوْتِ عَرْبَـــــدَةِ الـــــرَّدَى[3]

ﮊﮋﮊﮋ

---

[1] مجلّة الـمَعْرفة، العدد ٦، ١ حزيران/ يونيو ١٩٦٢ م، ص١٠٠. لقد مهَّد الشاعرُ لهذه القصيدة بقوله: "لقد ماتَ كما عاش - مُعْدِمًا - ودُفِنَ شيخًا طاعِنًا فـي السنِّ، ولم يَمْشِ فـي جنازته سوى خمسة أَشْخاص اقتَضَتْهم واجباتُ الـمهنة والصَّداقة فـي تَشْييع جثمانِه إلى مقرِّهِ الأخير". وجاءت القصيدة فـي جريدة حِمْص (العدد ٤١٤، ١٥ كانون الثانـي/ يناير ١٩٦٠ م، ص١) مع بعض الاختلاف.

[2] فـي جريدة حِمْص: التُّراب.

[3] فـي جريدة حِمْص: وما بهِ يَعِظُ الرَّدَى.

كَـــــمْ غــــــادَةٍ بِطُمُوحِهـــــا لَــــمْ تَرْتَضِــــي[1] إِلّا الـــذُّرَى!
دَفَــعَ الــــمَنُونُ بِهـــا إِلَيْـــــكَ لِكَــيْ تُوَسِّـــدَها الثَّــرَى

࿇࿇

كانَـــتْ تَنـــامُ عــلى الحَريـــــرِ، وتَسْــتَفِيقُ عــلى العُطُـــورْ
وقَــــرائِحُ الشُّـــــعَراءِ فِيــــهــا اســـتَنْفَدَتْ دُرَرَ «البُحُـــورْ»

࿇࿇

وكَبِــيرُ قَـــوْمٍ مـــا تَدَنْــــنَـــى لِلصَّـــغِيرِ ولا الكَبِـــيرْ
لَـــــمّا احْتَـــــواهُ ســــاعِدا كَ ارْتـــاحَ فـــي القَـــبْرِ الحَقِـــيرْ[2]

࿇࿇

وسَــمِعْتَ مِــنْ حَشْــوِ المُؤَبْــبَنِ مــا تَضِــيقُ بِــهِ الـــمَسامِعْ
وشَــــهِدْتَ أَلْـــوانَ الرِّيـــاءِ عــلى الوُجُــوهِ، وفــي الــمَدامِعْ

࿇࿇

كَــمْ دَمْعَـــةٍ ذُرِفَـــتْ وقَـــدْ أَوْحَـــتْ إلى الرَّائـــي[3] الشُّـــكُوكْ!
لَيْسَـــتْ لَـــها فِـــي العَـــيْنِ إِلّا قِيمَـــةُ السِّـــنِّ الضَّـــحُوكْ

࿇࿇

[1] هكذا جاءت، والصَّحيحُ: لَمْ تَرْتَضِ، ولكنّ ذلك من ضَرائر الشِّعْر.

[2] في جريدة حِمْص: ارْتاحَ في ذُلِّ الـمَصِير.

[3] في جريدة حِمْص: النَّفْس.

وفَتًـــى أَبِـــيِّ الـــنَّفْسِ كـــا نَ البُـــؤْسُ كُـــلَّ حَياتِـــهِ
لَـــــمْ يَـــدْرِ إِلّا نَعْشُـــــهُ وضَريحُــــــــهُ بِوَفاتِـــــــهِ

ஐ

لا الـــبَرْقُ طَـــيَّرَ نَعْيَـــهُ لا الصُّـــحْفُ ناحَـــتْ، لا الـــمَحافِلْ
بَـــلْ كـــانَ صَـــوْتُ نَعِيِّـــهِ نَغَـــمَ[1] الـــمَجارِفِ والـــمَعاوِلْ

ஐ

وكـــما قَضَـــى غَـــمًّا قَضَيْـــ ـــتَ، فِغِبْـــتَ فـــي لُجَـــجِ الـــزَّمَنْ
لَـــمْ يَصْـــطَحِبْكَ إلى الحُفَـــيْرَ ةِ غَـــيْرُ فَقْـــرِكَ والكَفَـــنْ

ஐ

وتَرَكْـــتَ فـــي الـــدُّنْيا أُنـــا سًـــا لِلتّكالُـــبِ والعِـــراكْ
فـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ يَحْفِـــرُو نَ لِبَعْضِـــهِمْ حُفَـــرَ الهَـــلاكْ

---

[1] فـي جريدة حِمْص: بِفَمِ.



هيَ وسِيكارتِـي[1]

(من الطَّويل)

أَشــــارَتْ إلى ثَوْبــــي بِلَحْــظٍ مُؤَنِّـــبٍ ... وقالَــتْ: ثُقُوبًــا فـــي حَواشِـيهِ أُبْصِـــرُ

فَقُلْــــتُ: حُرُوقًـــا أَحْـــدَثَتْها لُفافَـــةٌ ... ثَلاثِـــينَ حَـــوْلًا فــــي فَمِـــي تَتَسَـــعَّرُ

فَقالَــــتْ: لَـــحاها اللهُ قاسِـــيَةً جَنَـــتْ ... عَلَيْـكَ، فَلَـمْ تُقْصِــرْ، ولا هِـيَ تُقْصِـــرُ

تَفُــوحُ فَتَسْـــتَهْوِي بِعِطْــرِ دُخانِهـــا ... وفـــي العِطْــرِ سُــمٌّ لِلْفَتَـــى مُتَنَكِّـــرُ

فَقُلْـــتُ لَهـــا: مَهْـــلًا، ولا تَتَسَـــرَّعِي ... فَمِثْلُــكِ مَــنْ يَنْسَــى، ومِثْلِــيَ يَــذْكُرُ

أَخَــذْتِ عــلى سِيكارَتــي كِــبْرَ جُرْمِهــا ... وجُرْمُــكِ فـــي إِحْــراقِ قَلْبِــيَ أَكْــبَرُ

---

[1] مجلَّة العُصبة (الـمَهْجريَّة)، السنة الثانية عشرة، العدد ٤، سان باولو، حزيران/ يونيو ١٩٥٢ م، ص٣٣٥.



وَاسْتَطْلَعُوا الـمَجْد[1]

(من البسيط)

لاحَــتْ عــلى الشَّاشَــةِ البَيْضــاءِ حامِلَــةً ... لِلنّـــازِحِينَ بَيَـــاضَ العَهْـــدِ فَـــادَّكَرُوا

وَاسْتَشْـرَفُوا الفَجْـرَ مِـنْ جَـوٍّ قَضَـى زَمَنًـا ... لَـــمْ تَبْــدُ فــي أُفْقِــهِ شَــمْسٌ ولا قَمَــرُ

وَاسْتَطْلَعُوا الــمَجْد يَـدْنُو عَـنْ عَشِـيرَتِهِ[2] ... بَعْــدَ الغِيَــابِ، وهَــذا العَــوْدُ مُنْتَظَــرُ

غَذَّتْــهُ يَعْــرُبُ بالــمَفُوحِ مِــنْ دَمِهــا[3] ... عَصْـــرَ الفُتُــوحِ، وأَذْكَــتْ نــارَهُ مُضَــرُ

---

[1] جَريدة الأَنْباء، البَرازيل، سان باولو، السنة الخامسة، ١٢ كانون الأَوَّل/ ديسمبر ١٩٧٣ م، ص٣. يبدو أنّ هذه الأبياتَ جزءٌ من قصيدة، وقد يكون البَيْتان الوارِدان فـي الصفحة اللاحقة تحت عنوان «غَفْوَة الأُسْد» جزءًا من القصيدة نفسِها.

[2] ربّما أرادَ الشاعر: يَدْنُو مِنْ عَشِيرَتِه.

[3] التَّفْعيلة الثالثة غير محبَّذة فـي البسيط.



غَفْوَةُ الأُسْد[1]

(من البَسيط)

تَجـــــاهَلُوا أَنَّ لِلآســــــادِ غَفْوَتَهـــــا لكِـــنْ إِذا اسْـــتَيْقَظَتْ فَـــالهَوْلُ والعُـــذْرُ

مـــا بالعَسِـــيرِ عَـــلى أَشْـــبالِ نَهْضَـــتِنا أَنْ يَسْـــتَرِدُّوا مِـــنَ الأَمْجـــادِ مـــا خَسِـــرُوا

[1] جريدة الأَنْباء، البرازيل، سان باولو، السَّنة الثانية، ٢٠ كانون الثانـي/ يناير ١٩٧١ م، ص٣.

الـمِهْرَجانُ الأَكْبَرُ[1]

(من الكامِل)

عَلَمُ الجِهادِ وكَوْكَبُ الزَّمَنِ   «نادِي العُرُوبَةِ» مِنْبَرُ الحُرِّ

فَرْعُ العُلى مِنْ دَوْحَةِ الوَطَنِ   فَخْرُ الدُّنا بِرِجالِهِ الغُرِّ

❧❧

أَنْعِمْ بِهذا الـمَهْرجانِ وما   هَيَّأْتِهِ لِشَبيبَةِ العاصِي

يُوبِيلُها الذَّهَبي قَدْ بَسَما   لِلنَّاسِ مِنْ دانٍ ومِنْ قاصِي

❧❧

سَلَخَتْ مِنَ الأَعْوامِ خَمْسِينا   ومِنَ الـمآتِي الغُرِّ أَجْيَالا

كانَتْ على الأَيْتامِ تَأْمِينا   ولَها على الأَدْهارِ تِمْثالا

❧❧

شادَتْ مِنَ الـمَجْدِ الـمُؤَثَّلِ في   أَرْضِ الـمَهاجِرِ لِلْمَدَى هَرَما

بِجِهادِ كُلِّ مُكافِحٍ ووَفِي   هَزَّ الشُّعُورَ، وأَيْقَظَ الكَرَما

❧❧

هَلْ تَذْكُرُونَ بِذلِكَ الحَفْلِ؟   إِذْ تَمَّتْ الأَحْلامُ والفِكَرُ

---

[1] جريدة حِمْص، العدد ٣٥٤، ٧ تِشْرين الثاني/ نُوفمبَر ١٩٥٨ م، ص١. أُلْقِيَت القصيدةُ بمناسبة اليُوبيل الذهبي لجمعية الشَّبيبة الحِمْصية صاحبةِ الـمَيْتم السُّوري.

يَـــوْمَ اسْـــتُفِزَّ الشَّـــعْبُ لِلْبَـــذْلِ		وتَهافَتَـــــتْ أَبْنـــــاؤُهُ الغِـــــيَرُ

ﮧﮩﮧﮩ

مِـــنْ كُـــلِّ شَـــهْمٍ - إِنْ طَغَـــى وَســـطا		دَهْـــرُ الخَنَـــى - ثـــارَتْ حَمِيَّتُـــهُ

أو كُـــــلِّ فَـــــذٍّ إِنْ أَرادَ عَطـــــا		سَـــــبَقَتْ إِرادَتَـــــهُ عَطِيَّتُـــــهُ

ﮧﮩﮧﮩ

للهِ دَرُّكِ يـــــا شَـــــبِيبَةُ كَـــــمْ		أَبْـــدَيْتِ فـــي حَقْـــلِ الـــمَبَرّاتِ!

وَثَبْـــتِ كـــالطَّوْدِ الـــمَنِيعِ فَلَـــمْ		يَعْبَـــثْ بِحَظِّـــكِ دَهْرُنـــا العاتـــي

ﮧﮩﮧﮩ

تِلْـــكَ الصُّـــرُوحُ ومـــا يُطَوِّقُهـــا		مِـــنْ رَأْفَـــةٍ وعِنايَـــةٍ ويَـــدِ

هِـــيَ خَـــيْرُ أَوْسِـــمَةٍ تُنَسِّـــقُها،		فَـــوْقَ الصُّـــدُورِ، أَصـــابِعُ الأَبَـــدِ

ﮧﮩﮧﮩ

ضَـــمَّتْ مِـــنَ الأَحْـــداثِ أَجْوَاقـــا		مِـــنْ بَعْـــدِها لَيْسُـــوا بِأَيْتـــامِ

وتَشَـــــرَّبُوا نُـــــبْلًا وأَخْلَاقـــا		لِغَـــدٍ، فَـــأَثْمَرَ غَرْسُـــها النّـــامي

ﮧﮩﮧﮩ

أَبَنِـــي النَّباهَـــةِ والـــذَّكاءِ ومَـــنْ		عَرَفُـــوا الجَـــمالَ بِكُـــلِّ مَعْنـــاهُ

وتَرَسَّـــمُوا فـــي الحُـــبِّ خَـــيْرَ سُـــنَنْ		وتَخَـــــيَّرُوا لِلْقَلْـــــبِ أَسْـــــناهُ

ﮧﮩﮧﮩ

مـــا الحُـــبُّ فـــي إِلْهامِـــهِ السّـــامِي		مـــا الحُسْـــنُ فـــي إِيحائِـــهِ الصُّـــوَرا

بأَجَـــــلَّ مِــــنْ إِيحـــاءِ أَيْتـــامِ لِقَـــرائِحِ الكُتّـــابِ والشُّـــعَرا

꧁꧂

لِلشِّـعْرِ فــي سِـيمائِهِمْ سُـوَرُ مَخْطُوطَـةٌ تَبْـدُو، وآيـاتُ
شِـعْرٌ بَلِيـغٌ كُلُّـهُ عِـبَرُ خَطَّتْـهُ لِلْعَـيْنِ الـمُرُوءاتُ

꧁꧂

قُـلْ لِلَّـذِينَ بِمالِـهِمْ بَخِلُـوا وبِعَطْفِهِـمْ ضَـنُّوا عـلى البُؤَسـا:
أَنْـتُمْ عَـنِ الـدُّنْيا مَـنِ انْعَزَلُـوا بَـلْ أَنْـتُمُ الأَيْتـامُ والتُّعَسـا

꧁꧂

مـا نِعْمَـةُ الثَّـرْواتِ خالِصَـةٌ إِنْ لَـمْ تَكُـنْ فـي الـبِرِّ مَوْفُـورَةْ
هِـيَ لَـذَّةٌ سَـتَظَلُّ ناقِصَـةٌ ووَجاهَـةٌ فـي النّـاسِ مَبْتُـورَةْ

꧁꧂

أَحْسِـنْ فَتَـى الأَمْـوالِ عَـنْ رَغَـبِ مـا ضَرَّ أَهْـلَ الـمالِ إِحْسـانُ
وَاتْـرُكْ عِبـادَةَ عِجْلِـكَ الـذَّهَبِي حَتَّـى يُقـالَ: فُـلانُ إِنْسـانُ

꧁꧂

حَـيٍّ الـمُرُوءَةَ حِلْيَـةَ الرَّجُـلِ فـي شَـخْصِ كُـلِّ مُجاهِـدٍ وأَبِـي
هِـيَ خَلَّـةٌ وُجِـدَتْ مَـعَ الأَزَلِ وتَجَسَّـدَتْ فـي أُمَّـةِ العَـرَبِ

꧁꧂

وإلى شَـبِيبَةِ حِمْـصَ تَهْنِئَتِـي عَـنْ نِصْـفِ قَـرْنٍ مِـنَ مآثِرِهـا



فـــــي كُـــــلِّ مَجْهُـــــودٍ وتَضْـــــحِيَةٍ دَلَّـــــتْ عـــــلى ســـــامِي عَناصِرِهـــــا

ꕥꕥꕥꕥ

إِنْ لَـــمْ يُجِـــدْ فـــي وَصْـــفِها قَلَمِـــي بالحَمْـــــدِ والإِطْـــــراءِ أَخْتَـــــتِمُ

عَـــنْ ذِكْـــرِ مـــا أَدَّتَـــهُ مِـــنْ خِـــدَمِ يَعْيـــا اللِّســـانُ، ويَعْجَـــزُ القَلَـــمُ



كَيْفَ تعامَتْ مُقْلَةُ القَدَر!؟[1]

(من البسيط)

لَبِسْـــتُ ثَــوْبَ الغِنَــى حِينًــا فَــأَنْكَرَهُ   رُوحِــي عَــلى جَسَــدَي نُكْــرانَ مُخْتَــبِرَ

وقــالَ لـــي: لَــيْسَ هــذا غَــيْرَ تَجْرِبَــةٍ   مِــنَ الزَّمــانِ، فَكُــنْ مِنْهــا عــلى حَــذَرِ

لِلْـــمالِ أَهْـــلٌ تَــرَى فِيــهِ العَنــاءَ هَنــا   والــذُّلَّ عِـزًّا، وكُـلَّ العَـيْشِ فــي البِـدَرِ[2]

ولِلثَّـــــراءِ أُنـــــاسٌ أَنْـــــتَ تَعْـــــرِفُهُمْ   وكَيْــفَ عَــنْهُمْ تعامَــتْ مُقْلَــةُ القَــدَرِ

---

[1] الـمُهاجِرَة والـمُهاجِرُون، د. خالد مُحْيي الدّين البرادعي، الجزء الأوّل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦ م، ص٤٠٥. هذه الأبياتُ – بلا شكّ – جزءٌ من قصيدة، ولكن لم أجد سِواها، وقد جعلتُ لها عنوانًا من سِياقها؛ وقد ذكر أدهم آل جندي أنَّ عنوانها «تجربة»، ولا أدري إن كان العنوانُ صحيحًا أم لا، لاختلاف السِّياق عن هذا العنوان (انظر: أعلام الأدب والفنّ، أَدْهم آل جندي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دِمَشق، ١٩٥٤ م، ص١١٥).

[2] بِدَر: جَمْع بَدْرَة، والبَدْرة: كيسٌ فيه مِقْدار مـن الـمال يُتعامَل به، ويقدَّم فـي العَطايا. وقد يكون الشاعرُ أراد بالبِدَر شيئًا آخر.

قافِيَةُ السِّين

الغَيْرةُ الخَرْساء[1]

(من الطويل)

ذَوَتْ في رَبِيعِ العُمْرِ، في مَيْعَةِ الصِّبا		فَغَيَّبَ مَعْها القَلْبَ، وَاعْتَنَقَ اليَأْسا

وما إِنْ تَوَلَّى العامُ حَتَّى اسْتَرَدَّهُ		بِغانِيَةٍ رَدَّتْ على دارِهِ الأُنْسا

وأَقْبَلَ يَوْمُ الرّاحِلِينَ فأَقْبَلَتْ		عَلَيْهِ، وقالَتْ: لا تَزُرْ وَحْدَكَ الرَّمْسا

فَسارَ وسارَتْ لِلضَّرِيحِ، ولَمْ تَكُنْ		لِتُدْرِكَ ما قَدْ يَصْدُمُ القَلْبَ والحِسّا

رَأَتْ شَبْحَ الـماضِي يَلُوحُ لِلْفَتَى		عَلى القَبْرِ بالذِّكْرَى مَخافَةَ أَنْ يَنْسَى

فكانَ لِـجَمْراتِ الحَنِينِ انْتِفاضُها		ولِلْغَيْرَةِ الخَرْساءِ ثَوْرَتُها الخَرْسا

---

[1] جريدة حِمْص، العَدد ٤١٠، الجمعة، ١١ كانون الأوّل/يَناير ١٩٥٩ م، ص٣. مهَّد الشاعرُ لهذه القصيدة بقوله: "في عيدِ الأَمْوات وفي إِحْدى مقابِر مدينة سان باولو، وإلى جانب أحد الأضرحة: هو شابٌ مُنْهَمك بتَزْيين القَبْر، وهي إلى جانبه جامدةٌ وأَماراتُ الامتِعْاض والقلق مرتسمةٌ على محيّاها الـمتحوِّل إلى الجهة الـمُعاكِسة. سألتُ: قَبْرُ من؟ فقيلَ لي: قَبْرُ زَوْجتِه الأولى. قلتُ: وهذه التي إلى جانبِه أجابُوا: زَوْجتُه الثانية".

قافِيَةُ العَيْن

أَنا وهيَ واللَّيْل[1]

(من الـمُتَقارِب)

جَلَسْـــــــتُ إِلَيْهــــــا ولا ثالِـــــــثٌ سِـــوَى اللَّيْـــلِ عَبْـــدًا لَـــدَيْنا أَطـــاعْ

أَصَـــــمُّ فَـــــلا سَرَّنـــــا ســـــامِعٌ وأَبْكَـــــمُ فالسِّـــــرُّ لَـــيْسَ يُـــذاعْ

ومـــا عَيْنُـــهُ غَـــيْرَ نَجْـــمٍ بَخِيـــلٍ مِـــنَ الكَهْرُبـــاءِ ضَـــئِيلِ الشُّـــعاعْ

فَلَـــوْ كـــانَ أَعْمَـــى لكـــانَ الوَقـــارُ وكـــانَ التَّـــوَرُّعُ مِلْـــكَ الضِّـــياعْ

فَيَـــا لَـــكَ بَـــرًّا بأَهْـــلِ الهَـــوَى ويـــا لَـــكَ عَبْـــدًا كَـــريمَ الطِّبـــاعْ

جَلَسْـــتُ إِلَيْهـــا أُمَتِّـــعُ رُوحِـــي بِحُسْـــنٍ ونَغْـــيٍ كَنَغْـــيِ[2] الكَـــمانِ

وبَـــــيْنَ الأنامِـــــلِ سِـــــيكارَةٌ تَصَـــعَّدُ مِنْهـــا أَريـــجُ الـــدُّخانِ

كِلانـــــا تَنـــــاوَبَ تَـــــدْخِينَها كـــما تَتَنـــاوَبُ قَهْـــرَ الزَّمـــانِ

فَمِـــنْ شَـــفَتَيَّ، ومِـــنْ شَـــفَتَيْها لِســـانُ دُخـــانٍ عَـــلا فـــي الـــمَكانِ

تَحَمَّـــلَ مِنّـــا صَـــلاةَ الهَـــوَى ومـــا احْتـــاجَ رَبّـــي إلى تُرْجُمـــانِ

---

[1] جريدة حِمْص، العَدد ٤٠٥، الجمعة، ٦ تِشْرين الثانـي/ نوفمبر، ١٩٥٩ م، ص١، ٧. مهَّد الشاعرُ لهذه القصيدة بقوله: "هو شاعرٌ أبيٌّ مغامر، وهي ذات جمالٍ عُلْويّ وأدبٍ نادر، والليلُ مُتكتِّم وساتِر".

[2] النَّغْيَة: مثل النَّغمَة، وقيل: النَّغْيةُ ما يُعْجِبك من صوتٍ أو كلام (عن لسان العرب).

جَلَسْــــتُ إِلَيْهـــا وكَـــأْسُ النُّـــواسِي[1] بِكَفِّـــــي، ونَشْــــــوَتُهُ نَشْوَتــــــي

ورُحْــــتُ أُجَرِّعُهــــا الخَمْـــرَ صِرْفًـــا كَـــما جَرَّعَتْنِـــــي مِــــنَ القُبْلَـــــةِ

ومالَــــتْ عَلَـــيّ، ومِلْــــتُ عَلَيْهـــا وخَمْرَتُهــــا مازَجَــــتْ خَمْرَتــــــي

إلى أَنْ صَـــــحَوْنا، فقالَــــتْ: نَتُـــوبُ أَجَبْـــتُ: الخَطِيئَــــةُ فـــــي التَّوْبَـــةِ

فَعــــــادَتْ إلى شُرْبِهـــــا والـــــدَّلالِ وعــادَ «ابْــنُ هانِــي»[2] فـــي بُرْدَتـــي

ﮔﮕﮔﮕ

فَيَـــــا صــــــاحِ لا تَسْــــــأَلَنَّ[3] عَــنِ الوَقْـــتِ كَـمْ طـالَ أو كَـمْ عَــبَرْ!

وفـــــي أَيِّ عـــامٍ، وفـــي أيِّ شَـــهْرٍ ومَـــنْ هِـــيَ مِـــنْ فاتِنــاتِ البَشَـــرْ

وهَـلْ كُنْـتَ فـــي اللَّيْـلِ فـــي مَـأْمَنٍ ومـا مِــنْ رَقِيــبٍ، ومـا مِــنْ خَطَــرْ

فَمَــنْ كـــانَ مِـــثْلي يَعُـــبُّ الخُمُـــورَ ويَهْـــوَى الزُّهُـــورَ، وصَـــوْتَ الـــوَتَرْ

وبَــــيْنَ ذِراعَيْــــهِ أُخْــــتُ الثُّرَيـــــا فَفِـــي قَبْضَـــتِهِ القَضــــا والقَــــدَرْ

---

[1] النُّوَاسِيّ: عِنَبٌ أَبيضُ مُسْتديرُ الحبِّ، كثيرُ الـماء، جيِّدُ الزَّبيب (عن الـمُعْجَم الوسيط).

[2] شاعرٌ أندلسيّ.

[3] هناك نقصٌ فـي الشطر أَخلَّ بالوزن.

الـمَأْساةُ الكُبْرَى[1]

(الرَّمَل)

دَعْ دَواةَ الحِـــــبْرِ إنْ كُنْـــــتَ تَعِـــــي	واتَّخِـــذْ صَـــبْرَ الأَسْـــى مِـــنْ مَـــدْمَعِي
واكْتُــــبِ الـــــمَطْلَعِ بالـــدَّمْعِ فَـــما	أَصْـــلَحَ الـــدَّمْعَ لِـــهذا الـــمَطْلَعِ!

𝔐𝔒𝔐𝔒

الهَزِيمَة

أَنــــا لَا أَبْكِــــي فِلَسْـــــطِينَ ولا	أَهْلَهـــا، بَـــلْ إنَّنِـــي أَبْكِـــي السَّــجايا
هِـــيَ إرْثٌ كـــانَ فـــي ذِمَّتِنـــا	ذَهَـــبَ الـــدَّهْرُ بِـــهِ إلّا بَقايـــا
واسْــتَعَدْنا مـــا اسْـــتَعَدْنا، فـــانْبَرَتْ	عُقْــدَةُ القُــدْسِ، ومِفْتــاحُ البَلايــا
عِنْـــدَها الأَبْطـــالُ هَبَّـــتْ لِلظُّبـــا	وتَنـــادَتْ تَلْتَقِـــي حُمْـــرَ الـــمَنايا
إنَّـــما الأَنْـــذالُ مِـــنْ ساسَـــتِنا	باعَـــتِ الأَبْطـــالَ فـــي سُـــوقِ الـــدَّنايا
ورَأَى القُـــدْسُ عـــلى أَبْوابِـــهِ	جُثَّـــةَ الـــمَجْدِ الفَتَـــى بَـــيْنَ الضَّــحايا

𝔐𝔒𝔐𝔒

لَـــمْ يَكُـــنْ «بِلْفُـــرُ» يَوْمًـــا مُـــذْنِبًا	لا، ولا إسْرائِيــــلُ يَوْمًـــا مُجْرِمـــا
سَـــبَرُوا القُـــوَّةَ فِينـــا قَـــبْلَما	سَـــدَّدُوا نَحْـــوَ الصُّـــدُورِ الأَسْـــهُما

---

[1] الشِّعْر القَوْمي فـي الـمَهْجَر الجنوبـي، د. عزيزة مريدن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣ م، ص٣١٧، ٣١٨، ٣١٩. هذه الأبياتُ جزءٌ من قصيدةٍ طويلة لم أستطع الوصولَ إلى بقيَّة أبياتها رغم سَعْيي الحثيث إلى ذلك.

أَبْصَـــرُوا، يـــا لِلْأَسَـــى مـــا أَبْصَـــرُوا، بفِلَسْـــــطِينَ الهَـــــوَى مُسْـــــتَحْكِما
مِـــنْ بُطُـــونٍ قَـــدْ تَناهَـــتْ شَرَهًـــا وقُلُـــــوبٍ عَمَّهـــــا داءُ العَمَـــــى
كَفَـــرُوا بـــالوَطَنِ الـــمَعْبُودِ مُـــذْ لَــمَحُوا فـــي كَـفِّ «لاوِي»[1] الــدِّرْهَما
وتَخَلَّـــوْا عَـــنْ سَـــما عِـــزَّتِهِمْ ثُـــمَّ بـــاعُوا القُـــدْسَ أَرْضًـــا وسَـــما

ஐஐஐ

تَنْبيهٌ وتَحْذير

فَـــإِذا لَـــمْ نَتَـــدارَكْ أَمْرَنـــا ونَسِـــرْ فـــي غَـــيْرِ هـــذا الـــمَذْهَبِ
سَـــنَرَى عَـــمّا قَلِيـــلٍ قـــائِمًا فـــي ضَـواحِي الشَّـامِ «مَبْكَـى العَـرَبِ»

[1] يَبْدو أنّ الشاعرَ يشير إلى أحد التجّار اليهود الذين كانوا يَشْترون الأراضي فـي فلسطين.

قافِيَةُ اللاَّم

الـمُجْتَمعاتُ العُموميّة والعائِليّة[1]

(من الرَّمَل)

قــالَ لـــي «نُقّــادُ»: مــاذا جَــدَّ لَــكْ ... مِــنْ أُمُــورِ الــدَّهْرِ حَتَّــى بَــدَّلَكْ؟

مـــا عَهِـــدْنا فِيــكَ بُعْــدًا وجَفــا ... بَــلْ نَــدِيمًا تَشْــهَدُ النُّــدْمانُ لَــكْ

طَلِّـــقِ العُزْلَـــةَ، وَاسْـــلُكْ بَيْنَنــا ... مِــثْلَما غَــيْرُكَ فــي اللَّهْــوِ سَــلَكْ

قُلْــتُ: لَــهْوِي غَــيْرُ مــا تَعْرِفُــهُ ... فـــي الــذي لَــذَّ لَــهُمْ أو لَــذَّ لَــكْ

كَــمْ رَمانـــي الحَــظُّ فـــي حَلَقــاتِهِمْ ... وأَدِيـــمُ اللَّيْـــلِ مُشْـــتَدُّ الحَلَـــكْ!

لَـــمْ أَجِـــدْ واحِـــدَةً أو واحِـــدًا ... مِـــنْهُمُ ناصِـــيَةَ الظُّـــرْفِ مَلَـــكْ

لا حَـــــدِيثٌ مُطْـــــرِبٌ، لا نُكْتَــــةٌ ... تُطْــرِبُ «الشَّــيْطانَ» فِــيهِمْ و «الــمَلَكْ»

بَــلْ حــدِيثُ «اللُّعْــبِ» و «الجَــخِّ» ومَــنْ ... حَلَّقُـــوا بالـــمالِ مـــا فَــوْقَ الفَلَــكْ

وانْقَضَـــتْ سَـــهْرَتُهُمْ، لكِـــنْ عــلى ... صِـفَةِ «الوِسْـكِي» ووَصْـفِ «الكَـدِلَكْ»[2]

---

[1] جريدة حِمْص، العدد ٤١٦، ١٩ كانون الثانـي/ يناير ١٩٦٠ م، ص٣.

[2] نوعٌ من السيّارات.

الـمائِتُ الحَيّ[1]

(من الطَّويل)

حياتُـــكَ إنْ زالــتْ فَــما الــذكرُ زائِــلُ وَصَــوْتُكَ إنْ وَلَّى ففــي الــذِّهْنِ ماثِــلُ

وجِسْــــمُكَ إنْ يَـــبْلى فَـــإِنَّ قُلوبَنـــا بِرَسْــمِكَ مـــا مــرَّ الزّمـــانُ أَواهِـــلُ

نَعــاكَ إِلَيْنــا الــبَرْقُ حــالًا لَوَانَّهــا بَشـــائِرُ أَفْـــراحٍ لكـــانَ يُماطِـــلُ

فكـــانَ كَطَلْــقِ البُنْدُقِيَّــة مُرْسَـــلًا وَمـا الطَّلْـقُ يَـدْري بالـذي هُـوَ حامِـلُ

فَـــأَدْمى قُلُوبًـــا لم تَكُـــنْ مُسْـــتَعِدَّةً لِخَطْـبٍ كَهـذا الخَطْـبِ، فَهْـيَ ثَواكِـلُ

❊❊❊

كأَنِّــي بِحِمْــصٍ يَــوْمَ مَوْتِـكَ أَظْلَمَــتْ وأنَّ لَهيـــبَ الزَّافِـــراتِ مَشـــاعِلُ

وأنَّ بَنيهـــا قِطْعَـــةٌ مِـــنْ كآبَـــةٍ غَلَـتْ مِـنْ لَظاهـا فـي الصُّـدُورِ مَراجِـلُ

وأَنَّ دُمُوعًـا قَـدْ جَـرَتْ مِـنْ عُيُونِهـا لَأَبْلَـــغُ مِـــمَّا سَـــطَّرَتْهُ الأَنامِـــلُ

عَـزاءٌ لِحِمْـصَ بَعْـدَ فَقْـدِكَ إنْ غَـدَتْ تُطيـقُ العَـزا، لكِـنَّما الخَطْـبُ هائِـلُ

حَلَلْـتَ بِهـا كـالنُّورِ حَـلَّ بِظُلْمَـةٍ وما حـالَ دُونَ النُّـورِ فـي اللَّيْـلِ حائِـلُ

بَـلِ امْتَـدَّ فـي كُـلِّ النُّهَـى يَسْتَشـيرُها لِيَشْـتَدَّ كَسْـلانٌ وَيَـنْهَضَ خامِـلُ

فَـما أَسْـعَدَ اليَـوْمَ الـذي كُنْـتَ قادِمًـا ومـا أَشْـأَمَ اليَـوْمَ الـذي أَنْـتَ راحِـلُ

❊❊❊

[1] زَفَراتُ القُلُوب لِفَقْدِ الرَّاعي الصَّالِح الـمَحْبوب، الخُوري عيسى أسعد، مطبعة السَّلامة، ١٩٣٢ م، ص٢٩٣، ٢٩٤.

فَقيدَ العُلى جاهَدْتَ في طَلَبِ العُلى لِشَعْبٍ، فَما عَزَّتْ لَدَيْكَ الوَسائِلُ
فَقُدِّرَ ما أَبْدَيْتَهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِما هُوَ فاعِلُ
تَرَكْتَ مِنَ الآثارِ في حِمْص ما بِهِ تُناطِحُ أَبْراجَ السَّما وتُطاوِلُ
لِذلكَ ناحَتْ يَوْمَ فَقْدِكَ مِثْلَما تَنُوحُ على أَزْواجِهِنَّ الأَرامِلُ

ﮪﮫﮪﮫ

فَقيدَ العُلى نَمْ آمِنًا في سَكينَةٍ بَدَتْ حَيْثُ وَاراكَ الثَّرَى والجَنادِلُ
تَضُمُّ كَبيرَ القَوْمِ مِثْلَ صَغيرِهِمْ ويُطْوَى حَكِيمٌ في دُجاها وجاهِلُ

ﮪﮫﮪﮫ

فَقِيدَ العُلى نَمْ وَاسْتَرِحْ مِنْ مَتاعِبٍ فَقَدْ نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ ما أَنْتَ آمِلُ
لَئِنْ كانَ هذا العُمْرُ بَحْرَ مَصائِبٍ فَإِنَّ القُبُورَ الصَّامِتاتِ سَواحِلُ

ﮪﮫﮪﮫ

سَلامٌ على صَوْتٍ تَلاشَى ولَم يَعُدْ سَلامٌ على القَبْرِ الذي أَنْتَ نازِلُ
سَلامٌ على أَيّامِ عِزِّكَ بَيْنَنا وها إِنَّ بَعْدَ العِزِّ نَجْمُكَ آفِلُ
وهَيْهاتَ أَنْ يَأْتي نَظيرُكَ حِمْصَنا فَدَهْري على حِمْصٍ بِمِثْلِكَ باخِلُ

قافِيَةُ الميم

الإِحْسان[1]

(من الكامل)

أَرَأَيْـــتَ كَيْـــفَ الـــوَحْيُ والإِلْهـــامُ يَتَحَـــــدَّرانِ، فَتَنْطِـــــقُ الأَقْـــــلامُ

الحُـــبُّ والأَحْـــزانُ نَبْـــعُ قُواهِـــا والبُـــــــؤْسُ واللَّــــــــذّاتُ والآلامُ

هَبَطـــا عـــلى الشُّـــعَراءِ يَـــوْمَ أَصـــابَهُمْ مِـــنْ جُعْبَـــةِ الـــدَّهْرِ الظَّلُـــومِ سِـــهامُ

فَجَـرَتْ عـلى بِـيضِ الطُّـرُوسِ دِمـاؤُهُمْ شِـــــعْرًا بِـــــهِ تَـــــتَرَنَّمُ الأَقْـــــوامُ

ﮩﮪﮫ

أَبَنـــي الـــمُرُوءَةِ والشَّـــهامَةِ مَـــنْ بِهِـــمْ لِبَنـــي الشَّـــقاءِ الـــمُرْتَجى البَسَّـــامُ

مـــا الحُـــبُّ فـــي سُـــلْطانِهِ وجَلالِـــهِ مـــا البُـــؤْسُ إِنْ قَـــذَفَتْ بِـــهِ الأَيّـــامُ

بأَجَـــلَّ مـــا أَوْحَـــتْ لِفِكْـــرَةِ شـــاعِرٍ فَـــوْقَ الـــمَنابِرِ هـــذِهِ الأَيْتـــامُ

إِنِّـــي لَأَقْـــرَأُ فـــي بَريـــقِ عُيُـــونِهِمْ شِـــعْرًا نَبَـــتْ عَـــنْ خَطِّـــهِ الأَقْـــلامُ

صـــاغَتْهُ أَفْئِـــدَةُ الكِـــرامِ مِـــنَ السَّـــا عَفْـــوًا، ومـــا كُـــلُّ الكِـــرامِ كِـــرامُ

قَـــوْمٌ إذا كَفَـــرَ الزَّمـــانُ بأَهْلِـــهِ صَـــلَّوْا عـــلى كُفْـــرِ الزَّمـــانِ وصـــامُوا

[1] لم أَهْتدِ إلى مناسبة هذه القصيدة الطويلة التي جاءت في موقع معجم البابطين لشعراء القرن التاسع عشر والعشرين، لكن يغلبُ على ظنّي أنّها في مناسبة إحياء ذِكْرى جمعيّة أو مؤسَّسة لـمساعدة الأيتام، وهذا ممّا كان مألوفًا في أنشطة الـمَهْجريين في البرازيل.

يَــــأْبَوْنَ أَنْ يَتَـــــذَوَّقُوا طَعْـــــمَ الهَنــــا إِنْ قَـــلَّ فـــــي صَـــحْنِ اليَتـــيمِ طَعـــامُ
وَقَفُـــوا الحَيـــاةَ عـــلى الـــمَكارِمِ دُونَ أَنْ يُعْطَـــى لَهُـــمْ أَجْـــرٌ، ولا هُـــمُ رامُـــوا
حَتَّـــى الـــمَلَذَّةُ عِنْـــدَ كُـــلٍّ مِـــنْهُمُ فـــي غَـــيْرِ كَفْكَفَـــةِ الـــدُّمُوعِ حَـــرامُ
فَـــإِذا أَرادُوا البَـــذْلَ مِـــنْ إِنْعـــامِهِمْ سَـــبَقَ الإِرادَةَ ذلِـــكَ الإِنْعـــامُ
شـــادُوا عـــلى أُسِّ الفَضِـــيلَةِ مَعْهَـــدًا حَضَـــنَ اليَتِـــيمَ فَصَـــحَّتِ الأَحْـــلامُ

ᘓᘐᘓᘐ

هَـــرَمٌ مِـــنَ الـــمَجْدِ الـــمُؤَثَّلِ خالِـــدٌ تَرْتَـــدُّ دُونَ خُلُـــودِهِ الأَهْـــرامُ
صـــانَ اليَتـــامَى مِـــنْ بَـــراثِنِ يُـــتْمِهِمْ واليُـــتْمُ وَحْـــشٌ دُونَـــهُ الضِّـــرْغامُ
إِنْ حـــالَ دُونَ مُـــدافعٍ ومُناضِـــلٍ فعَـــلى الـــمُرُوءَةِ والحَنـــانِ سَـــلامُ
لكِـــنَّهُمْ والقـــائِمينَ بِـــأَمْرِهِمْ وَرْدُ الرَّبِيـــعِ تَضُـــمُّهُ الأَكْـــمامُ
ولَكُلَّـــما ازْدادُوا يَتِـــيمًا واحِـــدًا يَـــزْدادُ فـــي صَـــدْرِ الكِـــرامِ وِسـامُ

ᘓᘐᘓᘐ

قُـــلْ لِلْحَـــرِيصِ عـــلى الحَيـــاةِ ومالِهـــا: أَخْطَـــأْتَ يـــا هـــذا، فَحِرْصُـــكَ ذامُ[1]
فلَقَـــدْ عَرَفْـــتَ مِـــنَ الحَيـــاةِ جَمالَهـــا فـــي صُـــورَةِ الـــدِّينارِ، لَسْـــتَ تُـــلامُ
تَجْـــرِي مِـــنَ الأَعْـــوامِ، تَكْـــدَحُ جامِعًـــا مـــا لِلـــزَّوالِ، فَتَهْـــزَأُ الأَعْـــوامُ
يَبْـــدُو لَـــكَ الـــدِّينارُ دَوْمًـــا باسِـــمًا لا يَخْـــدَعَنَّكَ ثَغْـــرُهُ البَسّـــامُ

---

[1] الذّام: العَيْب.

فالـــمالُ تُكْسِـــبُهُ الخُطُـــوبُ تَلَألُـــؤًا وحَـــوادِثٌ مَـــلْءَ الزَّمـــانِ جِســـامُ
جُـدْ مـا اسْـتَطَعْتَ فـإنَّ مالَـكَ فاسِـدٌ إنْ ظَـلَّ رَهْـنَ الخُـزْنِ وهْـوُ رُكـامُ
كالـــماءِ يَأْسَـــنُ إنْ تَوَقَّـــفَ جَرْيُـــهُ فَتَعافُـــــهُ الأَرْواحُ والأَجْســـــامُ
كُـــنْ كـــالغَمامِ إذا تَكـــاثَفَ مُـــثْقَلًا يَنْهَـــلُّ فَـــوْقَ الأَرْضِ وهْـــوَ سِـــجامُ
إذْ هَـلْ يُرَجَّـى الخِصْـبُ مـا بَـيْنَ الـمَلا والأَرْضُ عَطْشَـى والسَّـحابُ جَهـامُ[1]

ഇരുരു

يــا مَــنْ تَــرَى عَيْنــاهُ أَنْــواعَ الـبَلا وتَـــــرِنُّ فــــــي أَسْـــــماعِهِ الآلامُ
فَيَظَـلُّ كالصَّـنَمِ الـمُزَخْرَفِ جامِـدًا لا حِـــسَّ فيـــهِ، فـــما بِـــهِ إِسْـــلامُ
ويَـــرُومُ مِنّـــا أَنْ نُعَظِّمَــــهُ، وأَنْ يَحْتاطُـــهُ الإِجْـــلالُ والإِكْـــرامُ
أَخْطَـأْتَ يـا صَـنَمَ الغُـرُورِ فَقَـدْ مَضَـتْ أَيَّـــامُ كانَـــتْ تُعْبَـــدُ الأَصْـــنامُ
تَـزِنُ الرِّجـالُ بِفَضْـلِهِمْ لا مالِـهِمْ الفَضْـــلُ يَخْلُـــدُ والثَّـــراءُ حُطـــامُ
مـا تَنْفَـعُ الـبُخَلاءَ ثَـرْوَتُهُمْ ولَـوْ ضــاقَتْ لَــدَى إِحْصـائِها الأَرْقـامُ

ഇരുരു

فَلْيَحْـيَ كُـلُّ فَتًـى إذا اسـتَنْجَدْتَهُ، فـي البُـؤْسِ، كـانَ شِـعارَهُ الإِقْـدامُ
ولْتَحْـيَ أَبْطـالُ «الشَّـبِيبَةِ» إِذْ بِهِـمْ لِلْيُـتْمِ حَـدٌّ دُونَـهُ الصَّمْصـامُ
فَكَـأَنَّما الأَيْتـامُ لَـمْ يَتَيَتَّمُـوا وكَـأَنَّما الـبُخَلا هُـمُ الأَيْتـامُ

[1] الجَهام: السَّحابُ لا ماءَ فيه.



القُبْلَةُ الحَرَّى[1]

(من البسيط)

طَوَيْـتُ بُـرْدَ شَبابـي فـي هَـواكِ ولَـمْ أَفُــزْ بغَــيْرِ خَيــالاتٍ وأَوْهــامِ

وفــازَ غَــيْرِي بِــما قَــدْ كُنْــتُ آمُلُــهُ فَــراحَ مُقْتَطِفًــا أَثْــمارَ أَحْلامِــي

وأَسْرَفَ القَــدَرُ القــاسِي فَرَوَّعَنِــي بِرُؤْيَــةٍ حَنْظَلَــتْ رُوحِــي وأَيّــامي

أَبْصَــرْتُ قُبْلَتَــكِ الحَـرَّى عــلى فَمِــهِ أَوّاهُ مِنْهــا، ومِــنْ عَيْنــي وآلامِــي

كانَــتْ عــلى شَــفَتَيْهِ العِطْــرَ مُنْسَــكِبًا وفــي فُــؤادي شَــوْكَ الغَـيْرةِ الـدَّامِي

---

[1] أعلام الأدب والفنّ، أدهم آل جندي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م. وقد وردت القصيدةُ بعنوان «القُبْلَة الحَيْرَى»، وأظنُّ أنَّه «القُبْلَةُ الحَرَّى» كما أثبتُّه.

دمُوعُهُم أَصْبَحَتْ دُرًّا[1]

(من البسيط)

تَـأَلَّقَ الفَضْـلُ عَـنْ صَمْصـامَةِ الهِمَـمِ ... يـا شـاعِرَ الفَخْـرَ كَـرِّمْ شـاعِرَ الكَـرَمِ

كِلاكُـما كَوْكَـبٌ فـي تـاجِ أُمَّتِـهِ ... عِنْـدَ الـمُلِمَّاتِ يَجْلُـو غَيْهَـبَ الظُّلَـمِ

للشِّـعْرِ فـي دَوْلَـةِ الأَقْـلامِ رَنَّتُـهُ ... ولِلنَّـدَى رَنَّـةٌ فـي دَوْلَـةِ الـنِّعَمِ

ꕥꕥ

يـا شِـعْرُ هـذا مَجـالُ القَـوْلِ مُتَّسِـعٌ ... فـي الـبِرِّ والفَضْـلِ والإِطْـراءِ والحِكَـمِ

فَـابْرُزْ وطَـوِّقْ بِـما أُودِعْـتَ مِـنْ دُرَرٍ ... جِيـدَ الـذي طَـوَّقَ الأَجْيـادَ بالـذِّمَمِ

مَهْما غَلا الـمَدْحُ فـي القَـوْمِ الكِرامِ فَلا ... أَراهُ إِلّا رَخِيصًـا عِنْـدَ بَذْلِـهِمِ

فَـدِرْهَمٌ بالفَضْـلِ يَأْتِيـهِ أَخُـو كَـرَمٍ ... يَسْـوَى إذا عُـدَّ آلافًـا مِـنَ الكَلِـمِ

ومَـنْ أَحَـقُّ بِشِـعْرِ الـمَدْحِ مِـنْ رَجُـلٍ ... يَـرَى الحَيـاةَ بِغَـيْرِ الجُـودِ كالعَـدَمِ

سَـوْداءَ جَـرْداءَ، لا زَهْـرٌ ولا ثَمَـرٌ، ... خَصِـيبَةً بِقَتـادِ[2] البُـؤْسِ والأَلَـمِ

ꕥꕥ

[1] مجلَّة الأَنْدلس الجديدة (الـمَهْجريّة)، العدد الـمُمْتاز، العام الرابع، تمّوز/يوليو ١٩٣٥ م، ص٦٧. نظمَ موسى الحدّاد هذه القصيدةَ بمناسبة الاحتفال بتَدْشين البِناية التي شيَّدها للميتم السُّوري الـمِحْسانُ أَسْعد عبد الله من مالِه الخاصّ.

[2] قَتَاد: شَوْك.

أَكِـرْمْ بِمَـنْ شـادَ هـذا الصَّـرْحَ مُنْـدَفِعًا بِجَـوْهَرِ النُّبْـلِ والإِحْسـانِ والشِّـيَمِ

ضَـمَّ اليَتـامَى، وقَبْـلَ اليَـوْمِ ضَـمَّهُمُ قَلْـبٌ لَـهُ، عَـنْ فِعـالِ الخَـيْرِ لَـمْ يَـنَمِ

هُـمْ كالـمُرُوءَةِ حِـينَ الـدَّهْرُ يَنْكُبُهـا فـي أَهْلِهـا، فَـتَرَى أَهْـلًا بِغَـيْرِهِمِ

مـا راعَهُـمْ ونُيُـوبُ اليُـتْمِ بـارِزَةٌ فَعَـزْمُ أَمْثالِـهِ يَقْضِـي عـلى اليَـتَمِ

ولم يَضُـرُّهُمُ إذْ هُـمْ أَهْلَهُـمْ فَقَـدُوا فالأَسْـخِيَاءُ لَـهُمْ أَهْـلٌ بِعَطْفِهِـمِ

***

أَبـا اليَتـامَى، وكُـلُّ الـمُحْسِنِينَ لَـهُمْ آبـاءُ صِـدْقٍ بِشَـرْعِ اللهِ والأُمَـمِ

دُمُـوعُهُمْ أَصْـبَحَتْ دُرًّا بِجِيـدِكَ مُـذْ كَفْكَفْتَهـا، ونَظِـيمًا أَيَّ مُنْـتَظِمِ!

شِـدْتَ البِنـاءَ، فَشِـدْتَ الـذِّكْرَ مُلْتَمِعًـا فـي جَبْهَـةِ الـدَّهْرِ حَيًّـا غَـيْرَ مُخْـتَرَمِ

فَلَـيْسَ مـا شِـدْتَ يَعْفَـى ذِكْـرُهُ أَبَـدا ولَـيْسَ مـا الـذِّكْرُ يَبْنِيـهِ بِمُنْهَـدِمِ

يـا حـامِلًا عَلَـمَ الإِحْسـانِ يَخْفُـرُهُ[1] حَـدَّانِ صِـيغَا مِـنَ الإِقْـدامِ والهِمَـمِ

---

[1] يَخْفُرُه: يَحْرُسه.

قافِيَةُ النُّون

رَوِّضِ الدَّهْر[1]

(من الرَّمَل)

رَوِّضِ الـدَّهْرَ، وكُـنْ حَرْبًـا عَوانـا ... أَنْـتَ لَـمْ تُخْلَـقْ لِكَـيْ تَحْيـا جَبانـا

إِنَّـما الحُـرُّ إذا رامَ العُـلَى ... سَـخَّرَ الأَقْـدارَ، واقْتـادَ الزَّمانـا

جُـزْ عَـنِ الـماضِـي وعَـنْ أَمْجـادِهِ ... لا تَقُـلْ «كـانُوا» ولا «السُّـلْطانُ كانـا»

عَنْعَنـاتٌ لَـيْسَ تُجْـدِينا وإِنْ ... صَـبَّها الخـاطِرُ دُرًّا وجُمانـا

نَحْـنُ وُلْـدُ اليَـوْمِ والـماضِـي لَـهُمْ ... فَلَنـا أَنْ نَنْبُـذَ الـماضِـي وَرانـا

إِنَّـهُ القِشْـرُ الـذي نَلْهُـو بِـهِ ... حِـينَ يَسْـتَأْثِرُ باللُّـبِّ سِـوانا

***

يـا نُسُـورَ العُـرْبِ هُبُّـوا لِلْعُلَى ... فَلَقَـدْ حَقَّقْـتُمُ جُـلَّ مُنانـا

لا يُسَـمَّى شَـعْبُنا حُـرًّا إذا ... فـي هَـوَى الأَوْطـانِ لَـمْ يَتفـانَ

وَجِـدُّوا النَّزْعـاتِ فِـيما بَيْنَنـا ... قَـدْ دَهانـا مِـنْ أَذاهـا مـا دَهانـا

***

قَـدْ بَكَيْنـا الغَـرْبَ فـي نَكْبَتِـهِ ... بِقُلُـوبٍ فِضْـنَ حُزْنًـا وحَنانـا

---

[1] مجلَّة العُصبة (الـمَهْجريَّة)، ص٥١. ألقى الشاعرُ هذه القصيدةَ في حفلة تَدْشين النادي الحمصي في مَرْكزه الجديد.

ونُكِبْنـــــا دُونَ أَنْ نَلْقَــــــى فَتًــــــى واحِـــــدًا مِنْـــــهُ بِعَيْنَيْـــــهِ بَكانـــــا

ﮧﮨﮩﮪ

عِـــــبَرُ الأَيّـــــامِ شَـــــتَّى فـــــاعْتَبِرْ أَيُّهـــا الشَّـــعْبُ الـــذي عـــافَ الهَوانـــا

لَـــكَ مِـــنْ حَـــرْبِ النَّجاشِـــيِّ عِـــبْرَةٌ ومِـــنَ القُـــوَّةِ حِـــينَ الحَـــقُّ بانـــا

ﮧﮨﮩﮪ

مـــــا أَحَـــــبَّ الغُرَبـــــا أُمَّتَنـــــا لا ولَا دِينًـــــا هَـــــداهُمْ وهَـــــدانا

نَصَـــــبُوا أُحْبُولَـــــةَ الـــــدِّينِ لَنـــــا وهُـــــمُ يَرْجُـــــونَ لِلـــــدَّهْرِ عَمانـــــا

مـــا دَرَوْا، وَيْحَهُـــمُ، عَـــنْ أَرْضِـــنا أَنَّنـــا مِـــنْ أَجْلِهـــا عُفْنـــا سَـــمانا



ومِنْ نَكَدِ الزَّمان[1]

(من الوافِر)

أَمــــا لِلْعُــــرْبِ سَــــيْفٌ «خالِــدِيٌّ» يُوَحِّــــدُهُمْ ويَجْلُــــو الغاصِـــــبينا

جَـــزَى اللهُ الـمَظالِـــمَ كُـــلَّ خَـــيْرٍ أَرَتْنَـــا بَيْنَنَـــا الـــدَّاءَ الـــدَّفِينا

ومــا دَسَّـــتْهُ مِـــنْ وَيْـــلٍ وشَرٍّ بِسُـــورِيّا يَـــدُ «الـــمُتَمَدِّنِينا»

ومِــنْ نَكَــدِ الزَّمــانِ تَــرَى أُناسًــا جَهالَـــى بَيْنَنَـــا مُتَعَصِّـــبِينا

تَسُــومُهُمُ الوِصــايَةُ كُــلَّ عَسْــفٍ وتَصْـــفَعُهُمْ وهُـــمْ يَتَبَسَّـــمُونا

لَــهُمْ مِــنْ دِيــنِهِمْ سَــيْفٌ صَــقِيلٌ يُمَـــزِّقُهُمْ أَمـــامَ الطّامِعِينـــا

فَتَقْـــواهُمْ يُقَـــوِّي الـــذُّلَّ فِـــيهِمْ وتَقْوانـــا يُقَـــوِّي العِـــزَّ فِينـــا

فإِنّـــا مَعْشَـــرٌ مـــا إِنْ حَيِينـــا تَخَـــذْنا مَـــذْهَبَ الأَحْـــرارِ دِينـــا

ومَهْـــما عَرَبَـــدَ الـــمُتَدَيِّنُونا ومَهْـــما أَرْجَـــفَ «الـــمُتَفَرْنِجُونا»

فَهـــذا العِيـــدِ عِيـــدُ العُـــرْبِ طُـــرًّا وإِنْ حَسِـــبُوهُ عِيـــدَ الـــمُسْلِمِينا

---

[1] القَوْميّة والإنسانيّة في شِعْر الـمَهْجَر الجنوبي، د. عزيزة مريدن، الدار القوميّة للطباعة والنَّشْر، القاهرة، مصر، ١٩٦٦ م، ص٣٧٦، ٣٧٧. ألقى الشاعرُ هذه الأبيات في أحد أعياد الـمُسْلمين، ولم يكن لها عنوانٌ فجعلتُ لها عنوانًا من سِياقِها.



لَوْحُ جَنانِـي[1]

(من الكامِلِ)

لـــي فِيــكَ يَــوْمَ الــمَهْرجانِ قَصِــيدَةٌ تَسْـــمُو عـــلى الإِلْقـــاءِ والتِّبْيَـــانِ

أَوْدَعْتُهـــا حِرْصًـــا إِطـــارَ جَـــوانِحِي أَمّـــا الصَّـــحِيفَةُ فَهْـــيَ لَـــوْحُ جَنانِـــي

[1] جريدة حِمْص، العدد ٩٠١، الجمعة ٢ شباط/ فبراير، حمص، ١٩٧٠ م، ص٧. نظمَ الشاعرُ هذين البَيْتين فـي حفلة تَكْريم ميشيل كبّاش فـي سانطوس، وهما آخرُ ما قال من شعر قبلَ وفاته بأيّام مَعْدودة. وقد ألقاهما نيابةً عنه الشاعر نبيه سلامة بسبب تعذُّر ذلك عليه. وأذكر هنا أنَّني وضعتُ لهما عنوانًا من سياقِها.

شَعْشِعِي الرَّاح[1]

(من الخَفِيف)

شَعْشِعِي الرَّاحَ يا عَذارَى المَعاني ... واسْكُبيها بِأَكْؤُسٍ مِنْ بَيانِ

وَاسْقِنِيها شِعْرًا لَعَلِّيَ أَصْحُو ... مِنْ خُمارِ الزَّمانِ ... بَعْضِ زمانِ[2]

إنَّ لِلشِّعْرِ نَشْوَةً أَيْنَ مِنْها ... نَشْوَةُ الرُّوحِ عِنْدَ بِنْتِ الدِّنانِ

كانَ وَقْفًا على التَغَنِّي فأَمْسَى، ... بَعْدَ حِينٍ، وَقْفًا على الأَشْجانِ

أَسْمَعَ النّاسَ مِنْ حَزِينِ القَوافِي ... غَيْرَ ما عَوَّدَ الزَّمانُ لِساني

꧁꧂

يا وَلِيدَ الإلْهامِ يا بْنَ رَهِيفِ الْـ ... ـحِسِّ في غَمْرَةِ الفَتَى الوَلْهانِ

ما أُراني أَصُوغُكَ اليَوْمَ إلّا ... في رِثاءٍ ما كانَ في الحُسْبانِ

أُطْلِقُ الزَّفْرَةَ المَدِيدَةَ حَرَّى ... بَيْنَ آنٍ فَوْقَ الطُّرُوسِ وآنِ

واليَراعُ الغَرِيدُ بالأَمْسِ يَبْكِي الْـ ... ـيَوْمَ مَنْ كانَ زِينَةِ الخِلّانِ

كانَ عَفَّ اللِّسانِ شَهْمًا وَفِيًّا ... كانَ حُرَّ اليَراعِ ثَبْتَ الجَنانِ

كانَ بالرُّوحِ فاتِحًا عَرَبِيًّا ... كانَ في النَّثْرِ فارِسَ المَيْدانِ

---

[1] جريدة حِمْص، العَدد ٦٠٢، الجمعة، ٨ تِشْرين الثانـي/ نوفمبر ١٩٦٣ م، ص١، ٨. نظمَ الشاعرُ هذه القصيدةَ وأَهْداها إلى روح فقيد الأدب داود شكّور، بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاتِه.

[2] الخُمار: ما خالطَ الإنسانَ من سُكْرِ الخَمْر. ويريد الشاعرُ أن يقولَ: لعلَّه يتداوَى بالخَمْر من الخَمْر.

كَـــمْ لَـــهُ وِقْفَـــةٌ تَهُـــزُّ الرَّواسِـــي ذادَ فِيهـــا عَـــنْ حُرْمَـــةِ الأَوْطـــانِ!

ﮋﮊﮋﮊ

لَـــمْ يَضَـعْ فـــي نِضـالِهِ الحُـرِّ يَوْمًـا نُصْـــبَ عَيْنَيْـــهِ مُبْتَغَـــى النَّيْشـــانِ

حَسْـــبُهُ عَبْقَـــرٌ ومـــا نَفَحَتْـــهُ جَنَّـــةً مِـــنْ لآلِـــئِ التِّيجـــانِ

دُرَرًا مِـــنْ بَلاغَـــةِ النَّثْـــرِ تُـــزْرِي فـــي سَـــناها بالأَصْـــفَرِ الرَّنّـــانِ

ﮋﮊﮋﮊ

حـــازَ فَضْـــلَ الغِنَـــى، فـــما أَخَذَتْـــهُ «كِبْرِيـــاءُ الغَنِـــيِّ» فـــي الإِنْســـانِ

كُنْـــتَ تَلْقَـــى تَواضُـــعًا وإِبـــاءً بَـــيْنَ جَنْبَيْـــهِ، إِذْ هُمـــا تَوْأَمـــانِ

خَـــيَّرَ النَّـــاسَ بَـــيْنَ حُلْـــوٍ ومُـــرٍّ فَتَمَشَّـــــى عـــلى دُرُوبِ الأَمـــانِ

مُسْـــتَقِيمًا فـــي سَـــيْرِهِ، لا عِثـــارٌ عاقَـــهُ عَـــنْ بُلُـــوغِ أَسْـــمَى الأَمانِـــي

مَـــرَّ فـــي هـــذِهِ الحَيـــاةِ كَـــنَجْمٍ فـــي الـــدَّياجِيرِ بـــاهِرِ اللَّمَعـــانِ

شَـــعَّ دَهْـــرًا، ومـــا تَطَلَّـــبَ أَجْـــرًا وهَـــوَى كالـــمُجاهِدِ الـمُتَفانِـــي

ﮋﮊﮋﮊ

إِيـــهِ «داوُد»! مـــا الحَيـــاةُ سِـــوَى حُلْـــمٍ تَوَلَّـــــى مَعاقِـــــدَ الأَجْفـــانِ

فـــإِذا اسْـــتَيْقَظَ الفَتَـــى بَعْـــدَ حِـــينٍ غـــارَ فـــي وَحْشَـــةِ «الـــمَقَرِّ الثَّانـــي»

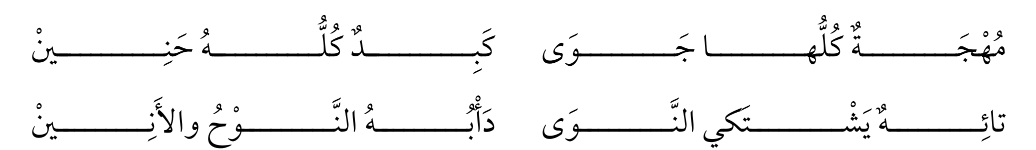
لَـــيْسَ حـــالٌ تَـــدُومُ مـــا دامَ حـــالُ الـــدْ ـــدَهْرِ يَمْضِـــي فـــي اللَّـــفِّ والـــدَّوَرانِ

كُلُّنـــا راحِـــلٌ إِلَيْـــهِ وتَبْقَـــى خالِـــداتٍ غُـــرُّ الـمَآتـــي الحِســـانِ



الوَطَنُ البَعِيد[1]

(من مجْزوء الخَفيف)



مُهْجَــةٌ كُلُّهــا جَــوَى   كَبِــدٌ كُلُّــهُ حَنِــينْ

تائِــهٌ يَشْــتَكي النَّــوَى   دَأْبُــهُ النَّــوْحُ والأَنِــينْ

[1] وجدتُ هذه البيتين فـي إِحْدى صفحات الإنترنت، ويبدو أنَّهما جزءٌ من قصيدة كاملة، هي ضائعةٌ الآن مثل كثير من شعر الشاعر.

قافِيَةُ اليَاء

بَعْدَ الأَرْبَعين[1]

(من الطَّويل)

هَـوًى شَـبَّ بَعْـدَ الأَرْبَعِـينَ فَـذُقْتُ مِـنْ ... تَبارِيحِــهِ مــا لَــمْ أَذُقْ مِــنْ شَــبابِيا

تَمَلَّكَنِـــي يَبْغِـــي طَعامًـــا لِنـــارِهِ ... فَلَــمْ يَلْــقَ خَلْــفَ الصَّــدْرِ إِلّا بَواقِيَــا

فَقُلْـتُ لَـهُ يـا شـارِبَ الـدَّمْعِ والـدِّما ... وأَظْلَــمَ جَبّــارٍ عــلى الأَرْضِ ســاعِيا:

أَلَا كُــفَّ عَنّــي، وابْتَــغِ الغَــيْرَ طالِبًــا ... غِــذاءً، فــماذا تَرْتَجِــي مِــنْ رَمادِيَــا

[1] جريدة السَّائِح (الـمهجريّة)، السنة الثلاثون، العدد ٥١، الخميس ٥ تِشْرين الثانـي/ نوفمبر، سنة ١٩٤٢م، ص٧ (نَقْلًا عن مجلّة الزّنابق «الـمَهْجريّة»).

نَشِيدُ الحُرِّية[1]

(من الـمُتَدارَك)

تَمَّــــــتْ آمالُـــــــكِ سُــــــورِيّةْ ومَلَكْـــــتِ زِمــــــامَ الحُرِّيـــــــةْ

فَلْنُكْــــــــــرِمْ أَرْواحَ الشُّـــــــــهَدا ونُخَلِّـــــــدْ ذِكْـــــرَى الوَطَنِيّـــــةْ

ꙮꙮꙮ

لَـــــمْ أَنْــــسَ شَــــقِيقَكِ لُبْنانــــا وبَنِيـــــهِ الصَّـــــيدَ الشُّــــــجْعانا

والنِّيــــــلَ ودِجْلَــــــةَ إِخْوانــــــا فــــــي بَـــثِّ الـــرُّوحِ الأَدَبِيّـــةْ

ꙮꙮꙮ

رَفَعُـــــوا عَلَــــمَ الاِسْــــتِقْلالِ مَنْقُوشًـــــا بِـــــدَمِ الأَبْطـــــالِ

«زُغْلُــــولَ» و «سُــــلْطانَ» الغالِــــي و «الفَيْصَــــلِ» فَخْـــرِ القَوْمِيّـــةْ

ꙮꙮꙮ

---

[1] جريدة حِمْص، العدد ٣٢٧، الجمعة ١١ تمّوز/ يوليو، سنة ١٩٥٨م، ص٥. مهَّد ناقلُ الخبر الأستاذ عارف سلامة، مُراسِل الجريدة، لهذه القصيدة بقوله: "زارَنا الـمُؤَذِّنُ الأوّل ومرتِّلُ القرآن الكريم، فـي سان باولو بالبرازيل، الـمُوسيقار الـمَعْروف السيِّد حَمْدو نَعْسان عجّوب، ومعه قِطعٌ مُوسيقيّة للبيَانو والعود والكمان وغيرها. وقد أَسْمعنا أسطواناتٍ مِنْها الأذان، ومنها أسطوانة نَشِيد الحرّية من نَظْم الشاعر الـمَحْبوب السيِّد موسى عبده الحدّاد وتَلْحين وغِناء السيّد حمدو. وقد أَخْبرنا بأنّه سيُرسِل قريبًا هديّةً لجريدة حِمْص الغرّاء قطعًا موسيقية من تَلْحينه مع كمِّية من الأسطوانات فيَلمِس الـمُقيمون الغيرةَ والشهامة والوطنيّة التي يتجمّل بها النازحون. وهذه أبياتُ أسطوانةِ «نشيد الحرّية»".

أَبْنــــاءَ العُـــــرْبِ كَفَــــى واصْـــــحُوا مِــــنْ نَـــــوْمٍ وَلَّـــــدَهُ الفَـــــتْحُ
بِعَــــــزائِمِكُمْ هُبُّــــــوا وَامْحُـــــوا مـــــا تَرَكَـــــتْ تِلْـــكَ الغَرْبِيّـــــةْ

ﮋﮊﮋﮊ

واتَّحِـــــــدُوا ضِـــــــدَّ الغُرَبـــــاءِ لِتُعِيـــــــدُوا مَجْـــــــدَ الخُلَفـــــاءِ
وارْتـــــادُوا العِلْـــــمَ ولا تَنْسَـــــوْا إِنْهـــــاضَ اللُّغَـــــةِ العَرَبِيّـــــةْ

ﮋﮊﮋﮊ

فـــــالغَرْبُ عَلَيْنـــــا مُتَّحِـــــدُ وعـــــلى خائِنِنـــــا مُعْتَمِـــــدُ
أَفَـــــما لِتَناوِمِنـــــا حَـــــدٌّ فَنُجـــــارِي الأَقْطـــــارَ الحَيّـــــةْ

ﮋﮊﮋﮊ

الجَهْـــــلُ أَســـــاسُ تَعَصُّـــــبِنا لِــــــدِيانَتِنا ومَــــــذاهِبِنا
لَـــــوْلَاهُ لَـــــما الغَرْبِـــــيُّ أَتَـــــى يَغْزُونـــــا باسْـــــمِ الـــــمَدَنِيّةْ

ﮋﮊﮋﮊ

فَلْنَـــــنْهَضْ نَهْضَـــــةَ آســـــادِ ونُحـــــارِبْ كُـــــلَّ اسْـــــتِعْبادِ
ونُوَحِّـــــدْ فِينـــــا رايَتَنـــــا ونَقُـــــلْ: فَلْتَحْـــــيَ الحُرِّيّـــــةْ

المَراجع

- أدب الـمُغْتَرِبين، إِلْياس قُنْصل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٣ م.

- أدب الـمَهْجر، الدكتُور صابِر عَبْد الدَّايِم، الطَّبعة الأولى، دار الـمعارِف، القاهرة، ١٩٩٣ م.

- أَدبُنا وأُدَباؤنا في الـمَهاجِر الأمريكيَّة، جورج صيدَح، الطَّبعة الرابعة، مكتبة السَّائِح، طرابلس، لبنان، ١٩٩٩ م.

- أَعْلامُ الأدب والفنّ، أَدْهم آل جندي، الجزء الأوّل، مطبعة مجلَّة صَوْت سورية، دمشق، ١٩٥٤ م.

- الأدب العربي في الـمَهْجر، د. حَسَن جاد حَسَن، دار قَطَريّ بن الفُجاءة للنشر والتَّوْزيع، الدَّوْحة، قطر، ١٩٨٥م.

- السُّوريُّون في الولايات الـمتّحدة الأمريكيَّة، فيليب حتّي، مطبعة الـمُقْتَطف، القاهرة، ١٩٢٢ م.

- الشِّعْر القَوْمي في الـمَهْجَر الجنوبي، د. عزيزة مريدن، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٣ م.

- القَوْميّة والإنسانيّة في شِعْر الـمَهْجَر الجنوبي، د. عزيزة مريدن، الدار القوميّة للطباعة والنَّشْر، القاهرة، مصر، ١٩٦٦ م.



- الـمُهاجِرَة والـمُهاجِرُون، د. خالد مُحْيي الدّين البرادعي، الجزء الأوّل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٦ م.

- جريدة الأَنْباء، البرازيل، سان باولو (الأعداد الـمُشار إليها فـي الحواشي).

- جريدة السَّائِح (الـمهجريّة)، السنة الثلاثون، العَدد ٥١، الخميس ٥ تِشْرين الثانـي/ نوفمبر، سنة ١٩٤٢م.

- جريدة حِمْص، عدد خاصّ بمناسبة مُرور خمسين عامًا على تَأْسيسها، مطرانيّة الروم الأرثوذكس، حمص، ١٩٥٩ م، وأعداد أخرى مشار إليها فـي حواشي الديوان.

- حُسْنِي غُرَاب - حياتُه وشِعْرُه، د. حسَّان أحمد قمحيَّة، الطبعة الثانية، دار الإرشاد، حمص، سوريَّة، ٢٠٢٠ م.

- ديوان الشاعر الـمَهْجري نبيه سلامة، د. حسّان أحمد قمحيّة، الطبعة الأولى، دار الإرشاد، حمص، سوريَّة، ٢٠٢١ م.

- زَفَراتُ القُلُوب لِفَقْدِ الرَّاعي الصَّالِح الـمَحْبوب، الخُوري عيسى أسعد، مَطْبعة السَّلامة، ١٩٣٢ م.

- قِصَّةُ الأدب الـمَهْجَري، الدُّكْتور محمَّد عبد الـمُنْعِم خفاجي، دار الكِتاب اللبنانـي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م.

- مجلَّة الأَنْدلس الجديدة (الـمَهْجريّة)، العدد الـمُمْتاز، العـام الرابع، تمّوز/ يُوليُو ١٩٣٥ م، وأعداد أخرى مشار إليها فـي حواشي الديوان.

- مـجلَّة العُصبة (الـمَهْجريَّة)، السَّنة الثانية عشرة، العدد ٣، سان باولو، أيّار/ مايو ١٩٥٢ م، وأعداد أخرى مشار إليها فـي حواشي الديوان.

- مجلّة الـمَعْرفة، العدد ٦، ١ حزيران/ يونيو ١٩٦٢ م، ص١٠٠.



فهرسة القصائد بحسب البحور

طَوَيْتُ بُرْدَ شَبابي في هَواكِ ولَمْ	أَفُزْ بِغَيْرِ خَيالاتٍ وأَوْهامِ	٨٢
تَأَلَّقَ الفَضْلُ عَنْ صَمْصامَةِ الهِمَمِ	يا شاعِرَ الفَخْرَ كَرِّمْ شاعِرَ الكَرَمِ	٨٤

الكامِل - التّام والمجزوء (٤)

عِشْتَ السِّنِينَ وأَنْتَ تَحْـ	ـفِرُ لِلْوَرَى شَتَّى القُبُورْ	٦٠
عَلَمُ الجِهادِ وكَوْكَبُ الزَّمَنِ	نادِي العُرُوبَةِ مِنْبَرُ الحُرِّ	٦٦
أَرَأَيْتَ كَيْفَ الوَحْيُ والإِلْهامُ	يَتَحَدَّرانِ، فَتَنْطِقُ الأَقْلامُ	٧٩
لي فِيكَ يَوْمَ المَهْرجانِ قَصِيدَةٌ	تَسْمُو عَلى الإِلْقاءِ والتِّبْيانِ	٨٨

الرَّمَل - التّام والمجزوء (٥)

هَلْ يُلامُ الشَّاعِرُ الفَنّانُ إِنْ دقَّ وَذابْ!؟		٣٩
أَنا سُورِيٌّ وفي	جَنْبِيَّ قَلْبٌ عَرَبِي	٤٦
دَعْ دَواةَ الحِبْرِ إِنْ كُنْتَ تَعِي	وَاتَّخِذْ صَبْرَ الأَسَى مِنْ مَدْمَعِي	٧٤
قالَ لي «نُقّادُ»: ماذا جَدَّ لَكْ	مِنْ أُمُورِ الدَّهْرِ حَتَّى بَدَّلَكْ؟	٧٦
رَوِّضِ الدَّهْرَ، وكُنْ حَرْبًا عَوانا	أَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِكَيْ تَحْيا جَبانا	٨٥

السَّرِيع (٢)

يا بَحْرُ يا أُعْجُوبَةَ الكائِناتْ	يا حُجَّةَ الآبادِ، مَهْدَ الحَياةْ	٤٧
هَلْ يَحْلُمُ الشَّاعِرُ يا صاحِبي	بِجَنَّةٍ أَرْوَعَ مِنْ جَنَّتِكْ!؟	٥٦



الخفيف - التّام والمجزوء (٤)

المجتثّ (١)

المتقارِب (٣)

المتدارَك (١)



كُتُبٌ أخرى للمؤلِّف في الأدب المَهْجري

- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب - أَناشيد الحَياة (تَقْديم وضَبْط).
- الشَّاعِر الـمَهْجري حُسْني غُراب - حياتُه وشعرُه (دراسة).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَصْر سَمْعان (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط).
- عَتبات النصّ فـي ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَصْر سمعان (دراسة).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري بَدْري فَرْكوح (تَقْديم وجَمْع وضَبْط).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نَدْرة حَدَّاد - أَوْراق الخَريف وقَصائِد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط).
- ديوان الشاعرة الـمَهْجريَّة سَلْوى سلامَة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط).
- الأديبة والشاعرة الـمَهْجريَّة سَلْوى سَلامَة - حياتُها وأدبها (دراسة).
- ديوان الشاعر الـمهجريّ بِتْرو الطرابلسي (تَقْديم وجَمع وضَبْط).
- ديوان الشاعر الـمَهْجريّ صَبْري أَنْدريا (تَقْديم وجَمْع وضَبْط).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري مِيشيل مَغْربـي - أَمْواج وصخور (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط).

- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري جميل حلوة (تَقْديم وجَمْع وضَبْط).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نسيب عريضة - الأَرْواح الحائرة وقصائد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري نبيه سلامة - أَوْتار القلوب وقصائد أخرى (تَقْديم واستِدْراك وضَبْط).
- ديوان الشَّاعِر الـمَهْجري يوسُف صارمي (جَمْع وضَبْط).
- أدباء وشعراء مَهْجريون منسيّون (جَمْع وضَبْط).
- ديوان الأديب الـمَهْجري عبد الـمسيح حدّاد (جَمْع وضَبْط).
- ديوان الشاعر الـمَهْجري علي محمّد عيسى (جَمْع وضَبْط).
- د. عبد اللطيف اليونس – حياتُه وأدبه (دراسة).
- ديوان الشاعر الـمَهْجري توفيق فخر، (جَمْع وضَبْط).
- ديوان الشاعر الـمَهْجري محمود صارمي (استِدْراك وضَبْط).

